بين يدى الديوان

١ – جمع الديوان وتدوينه :

اقتصرت رواية الشعر فى الجاهلية وصدر الإسلام – غالباً[١] – على الرواية الشفوية ، فقد كان الشعراء يروّون شعرهم جماعة من الشبان يلازمونهم ، ويتتلمذون لهم ، وكان هؤلاء الرواة – أو حملة الشعر ، وحفظته – من أقرباء الشعراء عادة ، أو من تلاميذهم المقربين إليهم[٢] .

بيد أنه كانت هناك طائفة من هؤلاء الرواة لا يخصون شاعراً بعينه يتتلمذون له ، وإنما يردون مناهل شتى يستقون منها ما شاء لهم الفن الشعرى أن يستقوا ، فرووا شعراً لمن سبقهم ، ولبعض من عاصرهم[٣] .

اتصلت هذه العادة واستمرت فى الإسلام ، كما استمرت عادة إنشاد الشعر للجماعات وفى المجالس .

وفى العصر الأموى ظهر تطور آخر فى رواية الشعر حيث يتصل بعض الأفراد بالشعراء ، ويأخذون عنهم ، ويدونون لهم ؛ إذ كان كثير منهم لا يقرأ ولا يكتب .

ومنذ مطلع القرن الثانى الهجرى نشأت طائفة جديدة من الرواة ، وهم الذين يطلق عليهم : الرواة العلماء ، « ربما كان أول شيوخها الذين مهدوا الطريق ، فكانوا هم الرواد السابقين : أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ هـ) وحماد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦ هـ)»[٤] ولذا قال محمد بن سلام : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية »[٥] . وقد أخذ عن هذين العالمين –

---

(١) وانظر : مصادر الشعر الجاهلى : ١٠٧ – ١٣٣ ، وأيضاً : ١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٧٩ .

(٢) فقد كان كعب بن زهير راوية لأبيه زهير بن أبى سلمى ، والحطيئة تلميذ زهير راوية لأستاذه ، والأعشى راوية لخاله المسيب بن علس . . .

(٣) مصادر الشعر الجاهلى : ٢٢٢ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٢ .

(٥) طبقات فحول الشعراء : ٤٠ .

أبى عمرو وحماد — سائر من نعرف من شيوخ العلم والرواية كخلف الأحمر ، والمفضل ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، وأبى عمرو الشيبانى ، وأخذ عن هؤلاء من تلاهم : كابن الأعرابى ، ومحمد بن حبيب ، وأبى حاتم السجستانى ، ثم أخذ عن هؤلاء : السكرى ، وثعلب وأضرابهما[١] » .

أخذ بعض هؤلاء العلماء الرواة يسيحون فى أحياء البادية ، والأمصار ، يروون الشعر ، ويروّونه الناس ، ويتخذون من هذا صناعة مثل : حماد ، وتلميذه خلف الأحمر ، والمفضل الضبى ، (١٧٨ هـ أو ١٦٨ هـ) وأبى عمرو الشيبانى (٢٠٦ هـ) وأبى عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ أو ٢١٣ هـ) والأصمعى (٢١٥ هـ) وغيرهم .

وبعضهم أخذ عن الأعراب الذين كانوا يفدون إلى الأمصار ، يعرضون بضاعتهم من الشعر على هؤلاء العلماء ، حيث كان الشعر حينذاك تجارة رابحة فى الحواضر ، كما روى بعضهم عن بعض .

ومنهم من جمع بين ذلك كله ، واختلفت مناهجهم فى الأخذ والرواية لأسباب واعتبارات ليس هنا مجال تفصيلها[٢] .

وقد اعتمد جل هؤلاء على الذاكرة والحفظ ، فكانوا ينشدون الأشعار ، أو يملونها دون الرجوع إلى مصدر مكتوب ، وإنك لتجد لهم فى مختلف كتب اللغة والأدب والتراجم نوادر بولغ فيها كثيراً ، منها قولهم : إن الأصمعى كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة[٣] ، وأن الفراء أملى كتبه كلها حفظاً . « قال سلمة[٤] : أملى الفراء كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين : كتاب « ملازم » ، وكتاب « يافع ويفعة »[٥] .

على أن بعض هؤلاء كان لا يكتفى بالسماع والحفظ ، بل كان يدون ، فقد كان أبو عمرو الشيبانى يخرج إلى البادية ومعه الورق والمداد فيدون ما يسمعه ، وروى عن عمرو بن أبى عمرو أنه قال : « لما جمع أبى أشعار العرب كانت نيفاً

---

(١) مصادر الشعراء الجاهلى : ٢٥٢ .

(٢) راجع لذلك : مصادر الشعر الجاهلى : ٤٢٩ وما بعدها .

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : ١٨٨ .

(٤) هو : سلمة بن عاصم الضبى ، والد المفضل بن سلمة صاحب كتاب « الفاخر » .

(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد (سنة ١٩٣١) ١٤/١٥٣ .

وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس ، كتب مصحفاً ، وجعله فى مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه »[١] .

جمع هؤلاء الرواة ما استطاعوا جمعه من الشعر : عنى بعضهم بجمع غريبه كما فعل المفضل فى « المفضليات » ، كما عنى بعضهم بجمع أراجيزه كالأصمعى[٢] ، والبعض جعل وكده جمع ديوان شاعر بعينه ، أو شعر قبيلة من القبائل ، وقد عرف بجمع الدواوين جماعة : كالأصمعى ، وأبى عمرو الشيبانى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، ومحمد بن حبيب ، وأبى الحسن الطوسى ، ويعقوب بن السكيت ، وثعلب ، وأبى سعيد السكرى ، وابن الأعرابى[٣] .

ولم تتجه عناية هؤلاء العلماء الرواة إلى شرح هذه الدواوين أو نقد ما فيها من الأشعار ، بقدر ما كان يهمهم جمعه والإكثار من روايته ، فقد روى حماد المعلقات دون تفسير ، وجمع الأصمعى الأصمعيات دون تفسير كذلك . وكذا فعل المفضل فى المفضليات[٤] ؛ لأن اهتمامهم بجمع الشعر كان أولاً وقبل كل شىء لتدوين اللغة ، والاستشهاد بالشعر على مسائل النحو ، وكان هذان العلمان يدرسان فى بدء الأمر لأجل القرآن الكريم والحديث الشريف .

على أنه قد يكون الأدب نفسه قد أغراهم بجمع الشعر ، وربما خافوا عليه من الضياع لكثرة الموالى وتفشى الانتحال ، وقد كان المؤدبون فى حاجة إليه لمحاضراتهم ، كما طلبه أصحاب العلوم ليأخذوا منه شواهدهم ، أو للاستجمام بإنشاده من مسائل علومهم : من فقه وحديث وتفسير . . .

وهم لشىء من ذلك — أو لكل ذلك — يجمعون الشعر ، ويختزنونه فى ذاكرتهم . أو يدونونه مجرداً أو كالمجرد من الشروح .

أما الشروح بمعناها الاصطلاحى الذى عرفت به الشروح الأدبية فيما بعد ، فتلك ظاهرة لم تعرف إلا فى القرن الرابع[٥] .

---

(١) ابن النديم : الفهرست : ١٠٧ .

(٢) إنباه الرواة : ٢/٢٠٣ .

(٣) ابن النديم : الفهرست : ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٤) مصادر الشعر الجاهلى : ٥٧٣ وانظر مراجعه فى الهامش .

(٥) للدكتور ناصرالدين الأسد فى : مصادر الشعر الجاهلى ، رأى يخالف ما ذكرنا . راجع : ١٩٠ ، ٢٥١ — ٢٥٢ ، ٤٨٤ .

أما ما سبق ذلك من شروح ، كشرح ثعلب لديوان زهير ، وشرح السكرى لديوان كعب بن زهير ، وشرح النقائض لأبى عبيدة ، ونحوها ، فليس فى الحقيقة شرحاً أدبياً بالمعنى الذى عرف فيما بعد ، فقد كان قصارى أمره أن يكون تفسيراً لغريب الألفاظ ، أو ذكراً لوجوه الروايات والإعراب ، أو شرحاً للمعنى العام ، أو التعرض لبعض الأخبار والأحداث التاريخية التى قد يرد ذكرها فى شعر الشاعر بشىء من التفصيل ، أو نحو ذلك من ذكر نسب ، أو قصة ، أو إلمام خفيف بالنقد الأدبى .

ذكرنا هذه المقدمة الموجزة عن رواية الشعر العربى وتدوينه، لتساعدنا فى إلقاء الضوء على رواية شعر الشماخ ، وتدوينه ؛ إذ كان شعره — من حيث الاهتمام بجمعه وروايته ، وتدوينه — خاضعاً لهذه الحركة التى أوجزناها فيما تقدم .

فقد جمع شعر الشماخ وروى حفظاً أولاً ، ثم دوّن فى الفترة ما بين أواخر القرن الثانى ، ومنتصف القرن الثالث . والنصوص التى بين أيدينا ، والتى تتحدث عن حفظ هؤلاء العلماء الرواة السابق ذكرهم لهذا الشعر ، ومدارسته ثم تدوينه ، ترجع كلها إلى هذه الفترة ، ولم نقف على شىء يتصل بجمع شعر الشماخ ، وتدوينه قبلها .

يقول ثعلب فى حديث له عن نفسه : « . . ولزمت أبا عبد الله بن الأعرابى بضع عشرة سنة ، وأذكر يوماً ، وقد صار إلى أحمد بن سعيد بن سلم[1] وأنا عنده وجماعة منهم السدّرى ، وأبو العالية ، فأقام ، وتذاكروا شعر الشماخ ، وأخذوا فى البحث عن معانيه والمسألة عنه ، فجعلت أجيب ، ولا أتوقف ، وابن الأعرابى يسمع حتى أتينا على معظم شعره . . »[2] .

وهذا النص له دلالته على أن شعر الشماخ كان محفوظاً فى ذاكرة هؤلاء الرواة ، ينشدونه ، ويتذاكرونه ، وأنه كان قد جمع وعرف وحفظ قبل هذا المجلس على

---

(١) معجم الأدباء : ٥/١٠٩ . وفيه « سليم » وهو خطأ وما أثبتناه هو الموافق لما فى : طبقات النحويين اللغويين : ١٦٣ ، ١٩٠ ، ومجالس العلماء ١٩ ، ١٠٠ ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٨٣ .

(٢) معجم الأدباء : ٥/١٠٨ وانظر أيضاً : الفهرست : ١١٦ وفيه . « السكرى » بدل « السدرى » .

الأقل ، كما أنله دلالة أخرى ، هى أن شعر الشماخ الذى عرفه هؤلاء العلماء وحفظوه كان من القلة بحيث استطاعوا أن يأتوا على أكثره فى مجلسهم هذا .

ويقول ثعلب أيضاً : « كنا عند أحمد بن سعيد بن سلم وعنده جماعة من أهل الأدب ، منهم عافية بن شبيب ، والسدرى ، وأبو العالية ، فأتاه ابن الأعرابى ، وكنا قبل موافاته فى شعر الشماخ نتناشده ، ونتساءل عن معانيه ، فلما جلس أقبلت عليه أسأله عن معانيه . . »[١] .

أما كيف جمع هذا الشعر ؟ ومن أول من جمعه من الرواة ؟ فالمصادر التى بين أيدينا لا تجيب عن هذا التساؤل .

وأقدم نص بين أيدينا يشير إلى تدوين شعر الشماخ عن ثعلب أيضاً يقول فيه : « كان أبو نصر صاحب الأصمعى يُملّ شعر الشماخ ، وكنت أحضر مجالسه ، وكان يعقوب [ابن السكيت] يحضرها قبلى . . . فجاءنى إلى منزلى فقال : اذهب بنا إلى أبى نصر حتى نقفه على ما أخطأ وصحف فيه من شعر الشماخ ، فإنه أخطأ فى بيت كذا ، وصحف فى حرف كذا ، قال : وأنا ساكت . . »[٢] .

وإذن . فأبو نصر كان يملى شعر الشماخ على تلاميذه ، وهم يدونونه ، ولعله بدوره قرأه على الأصمعى — قبل أن يمليه عليهم — مع ما قرأه من أشعار شعراء الجاهلية والإسلام[٣] . ولعل مما يؤيد قراءة أبى نصر أحمد بن حاتم الباهلى ، شعر الشماخ على الأصمعى وروايته عنه قول الأزهرى[٤] بعد أن شرح قول الشماخ :

رَعَى بَارِضَ الوَسْمِيِّ حتى كأَنَّما يرى بِسفَا البُهْمَى أَخِلَّة مُلْهِجِ[٥]

« وفسر الأصمعى فى رواية الباهلى البيت على ما وصفته وبينته » .

ويذكر ياقوت فى ترجمته لأبى جعفر محمد بن حبيب أن من صنعه من أشعار العرب : كتاب شعر الشماخ . . .[٦] كما ذكر ابن النديم أسماء الشعراء الذين عمل

---

(١) مجالس العلماء : ١٠٠ .

(٢) مجالس العلماء : ٤٦ وأيضاً : طبقات النحويين واللغويين : ١٩٧ — ١٩٨ .

(٣) معجم الأدباء : ٢/٢٨٥ .

(٤) تهذيب اللغة : ١/٨٣٦ .

(٥) الديوان : القصيدة : ٢ البيت : ٤٤ .

(٦) معجم الأدباء : ١٨/١١٦ — ١١٧ .

أبو سعيد السكرى أشعارهم ، وعد منهم الشماخ بن ضرار .[١] أى أن العناية بشعر الشماخ بدأت فى نفس الفترة التى بدأت فيها العناية بالشعر العربى بعامة ، ولنفس الأسباب التى سبق أن أشرنا إليها[٢] ، وأن هذه العناية اقتصرت على جمعه وحفظه أولاً ، ثم اتجهت إلى تدوينه بعد ذلك على يد أبى نصر — وهو بصرى — ومحمد بن حبيب — وهو بغدادى أخذ عن الكوفيين خاصة — ثم أبى سعيد السكرى تلميذ ابن حبيب[٣] .

وإذا علمنا أن محمد بن حبيب أخذ عن الكوفيين خاصة ولا سيما أبى عمرو الشيبانى وابن الأعرابى[٤] ، وأن ابن حبيب روى كتب ابن الأعرابى[٥] الذى كان يتدارس شعر الشماخ ويحفظه ، وقد قرأ ثعلب معظمه عليه وهو يسمع — كما مر — أمكننا القول بأن رواية ابن حبيب لشعر الشماخ ترتفع إلى ابن الأعرابى تلميذ المفضل الضبى وربيبه[٦] .

كذلك مر بنا أن أبا نصر صاحب الأصمعى ، كان يقرأ عليه أشعار شعراء الجاهلية والإسلام ، ونرجح أنه قرأ عليه شعر الشماخ فيما قرأ .

وإذن . فهناك روايتان لشعر الشماخ : إحداهما بصرية ترتفع إلى الأصمعى فيما نرجح . والأخرى كوفية قد ترتفع إلى ابن الأعرابى ثم المفضل الضبى الذى سمع منه ابن الأعرابى الدواوين وصححها[٧] ، وقد دونت الرواية البصرية ، أملاها أبو نصر صاحب الأصمعى ، ودون الرواية الكوفية محمد بن حبيب .

أما صنعة أبى سعيد السكرى للديوان ، فقد تكون جمعاً بين الروايتين — البصرية والكوفية — على نحو ما صنع فى ديوان « امرئ القيس » ، الذى يقول ابن النديم فى معرض الحديث عنه وعن رواياته المختلفة : « وصنعه من جميع الروايات

---

(١) الفهرست : ٢٣٠ .

(٢) يعتبر شعر الشماخ من الأشعار الحافلة بالمادة اللغوية ؛ ولذا أكثر اللغويون القدماء من الاستشهاد بشعره فى كتب اللغة ، كما سنرى عند عرضنا لمصادر شعره .

(٣) أبو سعيد السكرى ممن خلط المذهبين البصرى والكوفى ولكنه أكثر الأخذ عن محمد بن حبيب .

(٤) مصادر الشعر الجاهلى : ٤٩٢ وانظر مراجعه فى الهامش .

(٥) المصدر السابق : ٤٩٦ .

(٦) الفهرست : ١٠٩ .

(٧) نزهة الألباء : ٢٠٧ .

أبو سعيد السكرى فجود »[١] . وأيضاً : فالسكرى ممن خلط المذهبين وأخذ عن المدرستين على نحو ما هو معلوم، وقد تكون هى نفس رواية ابن حبيب شرحها السكرى أو زاد فيها ، فنسبت إليه ، وقد يسند هذا الرأى أن السكرى قام بشرح بعض الدواوين برواية ابن حبيب ، كشرحه لديوان الحطيئة رواية ابن حبيب[٢] ، وأن كل الدواوين التى بين أيدينا من صنعة السكرى عن ابن حبيب[٣] .

هذا كل ما أمكننا الوقوف عليه بالنسبة لجمع شعر الشماخ وتدوينه ، وهو — على قلته — لا يرتفع أكثره إلى مرتبة اليقين الثابت . أولاً : لقلة النصوص — كما رأينا — وثانياً : لأنه ليس بين أيدينا حتى الآن نسخة واحدة للديوان حرص ناسخها على كتابة أصلها الذى نقلت عنه ، أو تاريخ نسخ هذا الأصل وروايته ، كما سيأتى فى حديثنا عن نسخ الديوان الخطية .

بقى أن نذكر ما نعرف من أمر هذا الديوان وتنقلاته ، بعد أن ذكرنا ما نعرف من خبر جمعه وتدوينه .

تحدثنا المصادر عن رحلة أبى نصر أحمد بن حاتم إلى أصبهان بعد سنة عشرين ومائتين ، كما تحدّث أنه حمل معه فى هذه الرحلة مصنفات الأصمعى ، وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام ، التى قرأها عليه ، وأنها وصلت إلى أصبهان حيث نسخت هناك وعرفها الناس[٤] ، فهل أخذ أبو نصر معه إلى أصبهان — مع ما أخذ — نسخة من ديوان الشماخ الذى أملاه على تلاميذه ؟

وقبل أن نحاول الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نحاول الإجابة عن سؤال آخر وهو : هل كان أبو نصر يملى شعر الشماخ معتمداً على نسخة عنده ، أم كان يستوحى ذاكرته فى هذا الإملاء ؟

الحق أننا لا نملك الإجابة — حسب ما لدينا من المصادر — عن أى من هذين السؤالين إجابة مقنعة، أو قريبة من الإقناع .

---

(١) الفهرست : ٢٢٩ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى : ٤٤٨ .

(٣) المصدر السابق : ٤٩٦ .

(٤) معجم الأدباء : ٢/٢٨٥ .

إذ لو كانت لديه نسخة يملى منها ، لما ساغ أن يقول ابن السكيت لثعلب : « اذهب بنا إلى أبى نصر حتى نقفه على ما أخطأ وصحف فيه من شعر الشماخ ، فإنه أخطأ فى بيت كذا ، وصحف فى حرف كذا . . »[١] . فإن فى هذا القول ما يوحى بأنه كان يملى من الذاكرة ، على أنه لو كان أبو نصر قد أملى من نسخة بين يديه ، لحرص ثعلب — فضلاً عن ابن السكيت الذى كان يريد النيل من أبى نصر كما يفهم من النص — على أن يقول مثلاً : كان أبو نصر يملى شعر الشماخ من نسخة ينظر فيها ؛ فقد كانوا يحرصون على تسجيل ذلك ؛ لأنهم كانوا يعدون الإملاء من الكتب مما يعيب العلماء ، فقد عاب ابن سلام بعض العلماء قبله باكتفائهم بالأخذ عن الدواوين المدونة ، والكتب المكتوبة ، فنبزهم بأنهم صحفيون[٢] .

أضف إلى ذلك ما جرت به عادة هؤلاء العلماء من اعتمادهم على الذاكرة فيما كانوا يملون على تلاميذهم ، ويعدون ذلك مفخرة تستحق التنويه ، وقد مر بنا ما قيل : من أن الفراء أملى كتبه كلها حفظاً إلا كتابين[٣] ، وهم يذكرون مثل ذلك عن ابن الأعرابى ، فيقولون : « ما رئى فى يد ابن الأعرابى كتاب قط »[٤] ، ويقولون عن ثعلب : « وكان أحمد بن يحيى ثعلب لا يرى بيده كتاب ويتكل على حفظه »[٥] . وغير ذلك مما يشبهه ، مما هو مبثوث فى المصادر القديمة المختلفة . على أن ذلك كله لا يفيد — يقيناً أو ما يشبه اليقين — اعتماد أبى نصر على ذاكرته فى إملائه شعر الشماخ ، وليس هناك ما يدفع رجوع أبى نصر فى هذا الإملاء إلى نسخة كانت عنده ، وإن كان يخفى ذلك خشية أن يعرف بالأخذ عن الصحف ، وكان هذا مما يهجى به العالم فى ذلك الوقت ، قال بعضهم يهجو أبا حاتم السجستانى :

إذا أَسند القومُ أَخبارهم فإسناده الصُّحْفُ والهاجس[٦]

---

(١) مجالس العلماء : ٤٦ ، وطبقات النحويين واللغويين : ١٩٧ — ١٩٨ .
(٢) طبقات فحول الشعراء : ٦ .
(٣) تاريخ بغداد : ١٤/١٥٣ .
(٤) نزهة الألباء : ٢١١ .
(٥) إنباه الرواة : ١/١٤٨ .
(٦) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ١٩ .

ثم نعود إلى النص الذى يتحدث عن رحلة أبى نصر إلى أصبهان، والذى يقول عنه : « . . ونقل معه مصنفات الأصمعى وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة عليه . . »[١] ، ألا يدل هذا النص على أن هذه الأشعار كانت مدونة ، وأنه قرأها فى دواوينها على شيخه الأصمعى ، ثم نقلها معه إلى أصبهان ؟

وإذن . فلماذا يكون شعر الشماخ وحده من دون أشعار شعراء الجاهلية والإسلام هو الذى لم يقرأه أبو نصر على الأصمعى فى ديوانه ؟ !

ومن هذا العرض للاحتمالين الجائزين فى الإجابة عن السؤال الثانى ، يتبين أنه من التجنى على البحث العلمى أن ننفى أو نثبت وصول ديوان الشماخ إلى أصبهان مع أبى نصر الباهلى .

وإذا كنا قد وقفنا من رحلة الديوان إلى أصبهان هذا الموقف الذى لا يثبت ، ولا ينفى — إذ يعوزنا النص الصريح والدليل القاطع فى كلتا الحالين — فإن للديوان رحلة أخرى يتوفر النص الدال على صحتها .

يقول ابن خير عند كلامه على تسمية كتب الشعر وأسماء الشعراء التى وصل بها أبو على القالى إلى الأندلس : « قال أبو على . . وخرجت منها [بغداد] ووصلت إلى الأندلس ، ودخلت قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة للهجرة . . » ثم يذكر أبو على الدواوين التى حملها معه ، ومن بينها : شعر الشماخ بن ضرار الثعلبى فى جزء قرأه على ابن دريد[٢] .

يقول الدكتور ناصر الدين الأسد : « والمعروف فى تاريخ الرواية الأدبية أن الشعر الذى قرأه أبو على القالى على أبى بكر ابن دريد ، إنما رواه كله أو أكثره عن أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى ، وأن هذه الرواية تسلسلت فى الأندلس من أبى على القالى حتى وصلت إلى الأعلم الشنتمرى . . »[٣] .

فإن صح هذا القول جاز أن يكون سنداً آخر لما سبق أن ذكرناه من أن الرواية البصرية لشعر الشماخ ترتفع إلى الأصمعى ، أخذها عنه أبو نصر فأملاها ،

---

(١) معجم الأدباء : ٢/٢٨٥ .

(٢) فهرست ابن خير : ٣٩٥ .

(٣) ديوان قيس بن الخطيم — مقدمة المحقق : ١٢ (طبقة دار العروبة سنة ١٩٦٢) .

وأخذها أبو حاتم فروّاها ابن دريد الذى روّاها بدوره تلميذه أبا على القالى ، الذى حملها إلى الأندلس ثم تسلسلت — كما يقول الدكتور ناصر — حتى وصلت إلى الأعلم الشنتمرى .

وهكذا نظل على صلة بهذا الديوان ، وخبر تنقلاته وروايته حتى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، أو أواخر القرن الخامس على أكثر تقدير .

ثم نحاول أن نتتبع أخباره بعد هذا التاريخ ، فلا نقف على شىء بعد ذلك فيما تيسر لنا الاطلاع عليه من المصادر والمراجع ، إلا ما كان من إشارة إليه وردت فى « الإصابة » يقول ابن حجر (٧٧٣ — ٨٥٢هـ) : وهو يترجم للشماخ : « ورأيت فى ديوان الشماخ : وقال : توفى رجل من بنى ليث يقال له بكر[١] أصيب بآذربيجان وكان الشماخ غزا آذربيجان مع سعيد بن العاص . . »[٢] .

وهذه الإشارة لا تدل إلا على أن نسخاً من ديوان الشماخ كانت معروفة متداولة ، بين أيدى العلماء ينظرون فيها ويدرسونها ، ونحن لا ندفع هذا ، ولكنها لا تدل على شىء بالنسبة لرواية هذا الديوان ، وأصله ، وقيمة هذا الأصل . . .

ثم نقف على إشارات أخرى إليه فى القرن الحادى عشر الهجرىّ ، وكلها لعبد القادر البغدادى (١٠٩٣ هـ) فهو يشير إلى هذا الديوان فى كتابيه : « خزانة الأدب ، وشرح شواهد المغنى » .

أما فى الخزانة فنجده عندما يتعرض لشىء من شعر الشماخ بالشرح يقول : « قال شارح ديوانه » أو « قال شارح الديوان »[٣] وأما فى شرح شواهد المغنى فإنه يقول : « قال جامع ديوانه »[٤] .

وإشارات البغدادى هذه تلقى ضوءاً جديداً على ديوان الشماخ فى هذه الفترة المتأخرة ، فهى المصدر الوحيد — فيما نعلم — الذى نص على أن ديوان الشماخ —

---

(١) هكذا فى الإصابة . وهو فى غيرها « بكير » على لفظ التصغير ، كذا فى : أنساب الأشراف ١٠/ لوحة : ٦٩٨ ، وأسماء الخيل لابن الأعرابى : ٥٣ ، ونسب الخيل لابن الكلبى : ٤٠ — ٤١ ، وفى أسد الغابة : ١/ ٢٠٤ قال : « بكر بن شداخ ، وقيل : بكير » .

(٢) الإصابة : ٣/ ٢١١ .

(٣) الخزانة : ٢/ ١٩٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٤) شرح شواهد المغنى : ٢/ ٥٩٥ — ٥٩٧ و ٨٤٩ — ٨٥٠ .

الذى كان بين يدى البغدادى ينظر فيه ويرجع إليه- كان مشروحاً ، وأنه كان يضم شعراً للشماخ خلت منه النسخ التى بين أيدينا الآن[١].

ونحب أن ننبه هنا إلى أنه لا فرق بين عبارتى البغدادى فى كتابيه المذكورين (قال شارح ديوانه – قال جامع الديوان) فى دلالتهما على أن النسخة التى كانت لدى البغدادى واحدة لا اثنتان، إحداهما مشروحة، والأخرى بدون شرح؛ ذلك أننا إذا نظرنا فى الشروح التى أسندها البغدادى لشارح الديوان، لا نجدها تخرج عما كان معروفاً قبل القرن الرابع الهجرى من شروح ، كشرح ثعلب لديوان عامر ابن الطفيل[٢] ، وابن الأعرابى لشعر الأخطل[٣] ، والسكرى لديوان كعب بن زهير[٤] وغيرها من الشروح . وقد ذكرنا آنفاً أنها كانت عبارة عن تفسيرات لغوية ، أو تخريجات نحوية ولمحات نقدية خفيفة ، أو شرحاً للمعنى العام . . ونحو ذلك .

ونحن نورد هنا بعض الأمثلة مما ذكره البغدادى مسنداً إلى شارح ديوان الشماخ ، والتى تؤيد ما ذهبنا إليه .

يقول البغدادى عند كلامه على بيت الشماخ :

تُوائِلُ من مِصَكٍّ أَنْصَبَتْهُ حَوَالِبُ أَسْهَرَيْهِ بالذَّنين[٥]

: « ويقال : الذنين : الذكر ، كذا قال شارح الديوان »[٦] .

ويقول فى موضع آخر عند الكلام على قول الشماخ :

ذَعَرْتُ به القَطَا ونَفَيْتُ عنه مَقَامَ الذِّئْبِ كالرَّجُل اللَّعين[٧]

---

(١) انظر : شرح شواهد المغنى : ٢/٥٩٥ فقد روى تسعة أبيات للشماخ من قصيدة لأمية لا توجد فى النسخ الخطية التى بين أيدينا الآن ، (والقطعة فى ملحق الديوان رقم : ٣٩) وانظر أيضاً ، ١/١٧٥ من نفس المصدر ، وملحق الديوان : القطعة : ١٩ وتخريجها فى الهامش .

(٢) انظر : ديوانه : طبعة دار صادر . دار بيروت للطباعة سنة ١٩٥٩ .

(٣) انظر : شعر الأخطل : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – بيروت سنة ١٨٩١) .

(٤) انظر : شرح ديوان كعب بن زهير : طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ .

(٥) الديوان : القصيدة : ١٨ : البيت ١٣ .

(٦) الخزانة : ٢/٢٢٥ .

(٧) القصيدة : ١٨ البيت ٥ .

: « قال شارح الديوان : كالرجل اللعين : المنفى المقصى »[١]

ويقول بعد قول الشماخ :

لَعَمْرى لا أَنْسى وإنْ طال عهُدنا لقَاءَ ابنةِ الضَّمْرىِّ فى البلدالخالى[٢]

« قال جامع ديوانه : لقيها ببلد خال فرأى منظراً حسناً أعجبه »[٣]

وعند تفسير « نزّال » فى قول الشماخ :

وقد علمتْ خيلٌ بِمُوقَانَ أَنَّنِى أَنَا الفارسُ الحامى لَدَى الموت نَزَّال[٤]

يقول : « قال جامع ديوانه : نزيل الرجل : مرافقه ، والجمع نزُل »[٥] .. وهكذا .

وهذان المثالان الأخيران يدلان بما لا يدع مجالاً للشك على أن المراد بجامع الديوان وشارحه واحد .

ومن هذا نرى أن هذا الشرح كان يغلب عليه طابع القرن الثانى والثالث للهجرة .

وأغلب الظن أن هذا الشرح الذى كان بين يدى البغدادى ، كان من صنع واحد من الثلاثة الذين دوّنوا شعر الشماخ ، وقد يكون جامعاً لأقوالهم وأقوال غيرهم ، كما كان يفعل السكرى فى بعض ما صنعه من دواوين الشعراء .

وأغلب الظن أيضاً أن نسخة البغدادى قد نقلت عن أخرى سابقة لها ، وأنها كانت تمثل حلقة فى سلسلة ذلك الجهد الذى اتصل على مر العصور ، راعياً الشعر العربى ، حافظاً له من أن تعبث به يد الأيام . بيد أن البغدادى — غفر الله له — لم يصف لنا نسخته هذه ، ولم يذكر لنا شيئاً عن روايتها ، واكتفى عند عده لمراجعه فى مقدمة الخزانة بقوله : « ومن شعر الإسلاميين . . . وديوان الشماخ[٦] . . . » .

---

(١) الخزانة : ٢/٢٢٤ .

(٢) ملحق الديوان : القطعة : ٣٩ البيت : ١ .

(٣) شرح شواهد المغنى : ٢/٥٩٦ .

(٤) ملحق الديوان : القطعة : ٣٩ البيت : ٩.

(٥) شرح شواهد المغنى : ٢/٥٩٧ .

(٦) الخزانة : ١/٩ — ١٠ ، وهكذا يعد البغدادى الشماخ من الشعراء الإسلاميين ولم يعده من شعراء الصحابة الذين ذكر دواوينهم التى انتفع بها ، قبل شعر الإسلاميين ، ويبدو أنه قسم الدواوين التى انتفع بها إلى : شعر الجاهليين ، وشعر الصحابة ، وشعر الإسلاميين . . .

ولو أن هذه النسخة أو أختاها قد وصلت إلينا الآن ، لأمكننا أن نجيب على كثير من علامات الاستفهام التى تكتنف الديوان، وروايته، ورواته، ونسخه . . .

ولكن من المؤسف حقاً أن يحتجب عنا الديوان فى صورته التى كان عليها لدى البغدادى ، بعد هذا الجهد الذى اتصل منذ أن جمع شعر الشماخ ودون، إلى أواخر القرن الحادى عشر .

ونحن لا نعلم مصير الديوان بعد هذه النسخة ، إلا ما بين أيدينا من نسخ غير مشروحة ترجع كلها إلى أم مجهولة أهملت هذه النسخ وصفها ، وكل ما نعلمه عنها أنها كانت بالمدينة المنورة فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى — عند النسخ منها — وأنها لم تكن تضم كل شعر الشماخ ، إما لأنها هى الأخرى نقلت من أصل ناقص، أو لوجود خروم بها .

على أن هذه الأم أيضاً قد لفها ظلام الغيب ، ولم يبق بين أيدينا الآن إلا بُنَيَّات لها ، هن موضوع حديثنا بعد قليل ..

وبعد :

فإنا لنأمل أن يكشف لنا المستقبل عن نسخة كاملة لهذا الديوان، مسندة إلى راوية عالم من هؤلاء الرواة الرواد الأُوَل ، وأن نجد طلبتنا هذه فى إحدى المكتبات العامة ، أو الخاصة ، وحينئذ نعيد النظر فى عملنا هذا ، ونكمل ما قد يكون فيه من نقص أو قصُور .

٢ — نسخ الديوان الخطية :

استغرق منى البحث عن نسخ ديوان الشماخ الخطية جهداً شاقّاً ، ووقتاً طويلاً ، فبعد أن راجعت ما تيسرت لى مراجعته من فهارس المخطوطات فى مختلف المكتبات العامة، العربية منها وغير العربية، والكتب المختلفة التى ترشد إلى مواضع المخطوطات لم أعثر إلا على خمس نسخ لهذا الديوان ، لا أعلم أن فى مكتبات العالم سواهن .

وهذه النسخ الخمس بمنزلة النسخة الواحدة ؛ إذ أنها ترجع فى مجموعها إلى نسخة المدينة المنورة التى سبقت الإشارة إليها .

ثم بعد أن قطعت مرحلة طوياة فى تحقيق نص الديوان وتخريجه ، اتصل

بعلمى أن هناك نسخة خطية كاملة لديوان الشماخ ، تضمها المكتبة الخاصة بفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (مفتى تونس سابقاً) ، فأرسلت فى طلبها المرة تلو المرة ، ولما لم تصلنى من فضيلته أية إفادة عن هذا الموضوع ، اغتنمت فرصة قدوم نجله فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور ، لحضور جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أول مارس سنة ١٩٦٤) ، فاتصلت به حيث أكد لى أنه لا توجد فى مكتبة والده أية نسخة خطية لديوان الشماخ ، وإنما الموجود بها هو نسخة خطية من : ديوان « الشنفرى » — على ما أذكر — وأن الأمر قد اختلط على فضيلة الشيخ إبراهيم أطفيش — الذى نقل إلىّ هذا الخبر — فاشتبه عليه الشنفرى بالشماخ .

وهكذا عدت لأواصل عملى فى تحقيق الديوان ، وليس بين يدىّ إلا هذه النسخ الخمس — التى هى كالنسخة الواحدة ، وفيما يلى بيان ذلك :

(ا) النسخة الشنقيطية :

وهذه النسخة مودعة بمكتبته الملحقة بدار الكتب المصرية ضمن مجموع يحمل رقم (٦ ش أدب) وتحوى جملة وافرة من الدواوين ، وهذه الدواوين ، خالية من الشرح فيما عدا دواوين شعراء هذيل ، فقد أثبت شرحها على هوامش صفحاتها .

وفى أعلا الصفحة الأولى من هذا المجموع تملك بخط الشنقيطى هذا نصه :

« ملك هذا المجموع الفائق الرائق المشتمل على جملة وافرة من دواوين العرب العرباء ، أولها هذا [ديوان حسان بن ثابت — كما هو مثبت فوق هذا التملك] ، وواحد وثلاثون من دواوين شعراء هذيل ، وديوان لبيد ، وديوان الشماخ ، وديوان الأعشى ، وديوان ذى الرمة ، وديوان ابن الدمينة ، وديوان سراقة البارقى ، محمد محمود ابن التلاميد التركزى الشنقيطى المدنى ثم المكى ، ثم وقفه على عصبته بعده كسائر كتبه وقفاً مؤبداً ، فمن بدله أو غيره ، فإثمه عليه ، والله تعالى حسيبه ، وكتبه مالكه [و] واقفه محمد محمود سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف » .

وهذه الدواوين وردت فى هذا المجموع على الترتيب السابق الذى ذكره الشنقيطى . وقد كتب هذا المجموع بعدة خطوط مختلفة ، مما يدل على اختلاف النساخ ،

ولم ينص على الناسخ إلا فى آخر ديوان ذى الرمة ، فقد كتب ناسخه فى آخره :

« تم بحمد الله وحسن عونه على يد الفقير لربه على بن محمد الجزائرى لأخيه الأديب الأريب المحترم الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى ، وكان الفراغ من نسخه يوم الأحد المبارك سنة ١٢٨٧ هـ » .

وهذا الديوان مكتوب بخط مغربى مخالف لخط بقية المجموع .

وبعد ديوانى : ابن الدمينة ، وسراقة المكتوبين بخط نسخى عادى — يتفق فى رسمه وخصائصه ولون مداده فى كليهما — أثبت الناسخ بخطه على الصفحة الأخيرة من ديوان سراقة تاريخ النسخ وهو سنة ١٢٩٣ هـ .

وعلى الصفحة الأولى من ديوان الهذليين المكتوب بخط مغربى ، أثبت الناسخ بخطه : أنه نقل هذه الدواوين سنة ١٢٨٤هـ بالمدينة المنورة .

أما بقية دواوين هذا المجموع وهى : ديوان حسان بن ثابت — وديوان لبيد ، وديوان الشماخ — وديوان الأعشى ، فليس بعد كل منها أو قبله ما ينص على تاريخ النسخ أو اسم الناسخ ، أو الأصل المنقول عنه ، إلا أن الخط والورق ولون المداد فى دواوين — لبيد والشماخ والأعشى — يتفق — فى الأرجح وبعد المقارنة الدقيقة — مع خط دواوين الهذليين وورقها ولون مدادها ، ولهذا دلالته على أن ناسخها جميعاً شخص واحد ، وأن تاريخ النسخ متقارب .

وإذا كنا قد علمنا أن دواوين الهذليين فى هذا المجموع قد نسخت (سنة ١٢٨٤ هـ) بالمدينة المنورة ، فإننا نستطيع أن نقول : إن ديوان الشماخ فى هذا المجموع يرجع نسخه إلى هذا التاريخ أو قريباً منه ، وأنه نسخ بالمدينة أيضاً ، حيث كان ينزل المرحوم العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميد أثناء هذه الفترة — وحيث قام بنسخه له أحد تلاميذه أو أصدقائه .

وأغلب ظننا أن هذا المجموع رتب حسب أقدمية تاريخ النسخ — ففيما عدا ديوان حسان المكتوب بخط نسخى جميل ومنسق ، نجد أن دواوين الهذليين — وهى بعده مباشرة فى الترتيب — قد نسخت (سنة ١٢٨٤هـ) وأن ديوان « ذى الرمة » نسخ بتاريخ سنة ١٢٨٧ هـ ، ثم ديوانى : ابن الدمينة ، وسراقة البارقى ، وقد نسخا بتاريخ سنة ١٢٩٣ هـ ، وقد سبق أن رجحنا أن ناسخ دواوين — لبيد ، والشماخ —

والأعشى — هو ناسخ دواوين الهذليين وأن تاريخ نسخها جميعاً متقارب .

وهكذا يمكننا أن نرجح أن تاريخ نسخ ديوان الشماخ فى هذا المجموع ينحصر فى الفترة ما بين سنة ١٢٨٤هـ — وهو تاريخ نسخ دواوين الهذليين — وسنة ١٢٨٧هـ — وهو تاريخ نسخ ديوان ذى الرمة التالى لدواوين — لبيد والشماخ والأعشى فى هذا المجموع .

وديوان الشماخ فى هذا المجموع يشغل الصفحات من : ٣٠٩ إلى ٣٤٤ ، وعنوانه كما هو مثبت فى الصفحة الأولى منه بخط الناسخ :

« هذا ديوان الشماخ بن ضرار[1] بن حرملة
رضى الله تعالى عنه »

وقبل منتصف هذه الصفحة بقليل تبدأ القصيدة الأولى بدون أى تقديم ، أو إسناد قولها للشماخ . وتقع هذه النسخة فى : ٣٦ صفحة ، طول كل صفحة ٢٤ سم فى عرض ٢٨ سم وفى كل منها : ١٦ بيتاً ، ما عدا الصفحة الأولى (١٢ بيتاً) والأخيرة (٦ أبيات) وعلى الصفحة الأخيرة بعد الأبيات الستة فى منتصفها تقريباً كتب الناسخ بخطه : « تم ديوان الشماخ رضى الله عنه »

وخلت النسخة تماماً من أية إشارة إلى رواية الديوان ، أو الأصل المنقولة عنه .

وورق النسخة أبيض يضرب قليلاً إلى الصفرة ، وليس به ثقوب أو نحوها ، وقد سقطت نقطة مداد كبيرة على الكلمة الأولى من الشطر الثانى للبيت (٩) من القصيدة (٥) وقد أعاد الشنقيطى كتابتها فوقها .

وعلى الصفحة الثانية للديوان : كتب الناسخ — خطأ — تسعة عشر بيتاً من قصيدة للبيد مطلعها :

عفا الرسم أم لا بعد حول تَجَرَّمَا لأسماء رسم كالصحيفة أعجما .

من البيت : ١٤ إلى ٣٢ ، وقد شغلت هذه الأبيات الصفحة الثانية من ديوان الشماخ كاملة (وهى تشغل ص ٣٠١ من ديوان لبيد — السابق على ديوان الشماخ فى هذا المجموع) وقد ضرب الناسخ عليها ووضع فى أعلا الصفحة علامة تدل على أنه نسخها خطأ ، وعاد إلى كتابة بقية القصيدة الأولى فى الصفحة التالية ،

---

(١) فى الأصل بخط الناسخ « مزار » صححها الشنقيطى بخطه « ضرار » .

وهى تبدأ بالبيت : ١٣ من هذه القصيدة .

والتعليل المعقول لهذا الخطأ من الناسخ : هو أنه كان ينسخ ديوان الشماخ من مجموع أيضاً فيه ديوان لبيد قبل ديوان الشماخ ، ولسبب ما قلبت الصفحات ، وقد شغل الناسخ عن النسخ ، فوقعت عينه حين عاود النسخ على أبيات لبيد السابق الإشارة إليها ، فنسخها ، ولسبب ما أيضاً أدرك خطأه فضرب على الأبيات ، وعاد إلى أبيات الشماخ ، وربما يقوى هذا الاحتمال : أن أبيات لبيد تبدأ — فى ديوانه — هى الأخرى من أول الصفحة وتشغلها كلها ، فليس فى هذه الصفحة — إذن — مطلع قصيدة مثلاً ، أو نحوه يمكن أن يلفت نظر الناسخ إلى الخطأ فوراً .

وهذا أمر غريب حقًّا فأبيات لبيد تخالف أبيات الشماخ (وزناً وقافية ومعنى) ! !(١) .

ولكن هذا كان شأن أكثر النساخ الذين تناولوا تراثنا القديم بالنسخ ، فأكثرهم لم يكن يعرف عن الموضوع الذى ينسخه شيئاً مذكوراً ، ومن ثم كثر التحريف والتصحيف والخلط فى كثير من النسخ الخطية فى مختلف العلوم والفنون ، وهذه مشكلة يعانى منها الآن محققو هذا التراث(٢) .

وتحوى النسخة (٢٧) قصيدة من الشعر بعدها (٨) أرجوزات ، والقصائد الشعرية فيها مرتبة بحسب القافية على الحروف الهجائية ، أما الأراجيز فهى غير مرتبة ، وذلك لارتباطها بقصة تتحكم فى ترتيبها يحكيها راوى هذه الأراجيز .

والنسخة حافلة بالأخطاء ، ويبدو أن الأصل الذى نسخت منه كان سقيما ، فهناك اضطراب فى ترتيب بعض الأبيات ، كما يبدو أنها كانت ناقصة ، إما لأنها بدو رها نقلت من أصل ناقص ، أو لوجود خروم بها ، فقد سقطت منها قصائد كاملة ، كما أن بعض القصائد فى هذا الأصل ناقص ، وسيأتى الكلام على ذلك بعد قليل .

كما أن بعض الأخطاء فى نسختنا هذه يرجع إلى الناسخ ، وقد صحح الشنقيطى

---

(١) أبيات لبيد من الطويل ، وهى ميمية ، وأبيات الشماخ من الوافر ، وهى تائية . فانظر ! ! !

(٢) انظر : تحقيق النصوص ونشرها : ١٧ .

معظم هذه الأخطاء وبعض هذه التصحيحات استعمل فيه المحو ،والبعض استعمل فيه الترميج .

وقد أثبتنا تصحيحاته ، ونبهنا فى الهامش على بعضها فقط لكثرتها ، كما صححنا بعضها — وهو قليل — وقد نبهنا عليه فى الهامش أيضاً . على أنه قد ترك بعض الأخطاء بدون تصحيح ، كما يتضح ذلك من تحقيق الديوان ، كما أنه استدرك بيتين سقطا من الأصل فى الهامش عن يمين النص هما : ١٥ ، ١٦ من القصيدة : ٥ وأشار إلى موضعهما من القصيدة بعلامة الإلحاق، وهذان البيتان ساقطان من كل النسخ الخطية التى بين أيدينا .

ويبدو أن كل التصحيحات التى قام بها الشنقيطى فى نسخته هذه ، إنما كانت بعد كتابة النسخة بفترة ليست بالقصيرة، كما يدل على ذلك لون مدادها الذى يبدو حديثاً ، بالنسبة للون مداد الناسخ .

والنسخة أصلاً خالية من الضبط ، إلا القليل الذى قام به الشنقيطى ، وهو كثيراً ما يضبط العين والحاء المهملتين بأن يرسم تحت كل منهما حرفاً صغيراً من جنسه .

أما من حيث قواعد الكتابة، فالشائع فى النسخة — عدا ما هو معروف فى الخط المغربى من رسم الفاء بنقطة تحتها ، والقاف بنقطة واحدة فوقها : ما يلى :

١ — إهمال إثبات الهمزة على الألف فى أول الكلمة مثل : اينقا . ابيت . ان ام . . إلخ وقد استدرك الشنقيطى بعض ذلك . ويكثر إثباتها فى وسط الكلمة مثل : اتلأبت . المتأودات . . . إلخ .

٢ — رسم الصاد والضاد المتصلتين بما بعدهما بدون نبرة مما يجعل الصاد تختلط أحياناً بالميم ، وأحياناً بالحاء ، والضاد قد تشبه القاف المغربية .

٣ — كثيراً ما أهمل نقط النون فى آخر الكلمة مثل : اقحوان . كأن . ينتظرن . شرعن . . إلخ .

٤ — الهمزة المكسورة بعد مد فى وسط الكلمة مرسومة هكذا : غابرات ، نابحات حائلات . . إلخ .

٥ – رسمت ألف المد فى أول الكلمة هكذا : ءآل . ءآوى ، ءآض . . .

٦ – الهمزة المتطرفة بعد ألف مد ترسم مدة على الألف قبلها مثل : ظبآء ، الميلآء ، بمآء .

٧ – كثيراً ما تشبه الطاء المتصلة بما بعدها الكاف ، كما أن الكاف فى آخر الكلمة قد تختلط بالدال .

٨ – كثيراً ما تلتبس القاف المغربية بالغين والعكس .

٩ – أحياناً تكتب الضاد ظاء ، والظاء ضاداً . إلى غير ذلك مما قد يطول الكلام عليه .

وهذا كله مما يوقع القارئ فى كثير من اللبس والخطأ ، إلا من اعتاد قراءة الخط المغربى .

(ب) نسخة ليدن :

وهى نسخة مودعة فى مكتبة جامعة ليدن بهولاندة تحت رقم (٥٧٥) وقد استطعنا أن نحصل على صورة (فوتوستات) منها .

وعدد صفحاتها ثلاثون صفحة بكل صفحة من ٢٣ إلى ٢٤ بيتاً ما عدا الصفحة الثانية (١٧ بيتاً) ، والأخيرة (٣ أبيات) ، وعنوانها مثبت فى الصفحة الأولى ، وليس بها سواه ، وهو بخط نسخى صغير وجميل ونصه :

« هذا ديوان الشماخ بن ضرار »

وفى أعلا الصفحة الثانية كتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم »

وبعد بياض يقرب من ثلث الصفحة ، بدأ النص بدون تقديم أو إسناد القول إلى الشماخ تماماً كنسخة الشنقيطى .

وعلى الصفحة الأخيرة : كتب الناسخ بخطه :

« تم ديوان الشماخ بحمد الله وحسن عونه

كاتبه محمد سعيد بن الكلابى[1] . . المغربى

نزيل المدينة المنورة كان الله له ولأبويه

والمسلمين وليًّا ونصيراً ، آمين .

---

(١) هنا كلمة مطموسة فى المصورة لم أستطع قراءتها .

فى جمادى الثانى[١] ، سنة ١٢٩٧
وصل الله على سيدنا محمد
وآله وسلم
تسليما »

وهى كنسخة الشنقيطى تضم (٢٧) قصيدة ، وأرجوزة ، وبنفس الترتيب للقصائد والأراجيز .

وقد خلت تماماً من أى تعليق فى الهامش ، أو تصحيح للأخطاء الكثيرة الشائعة فى النسخة . اللهم إلا فى البيت رقم (١٢) قصيدة (٢) فى صلب النص « فى المعز الوج » وقد كتب فى الهامش عن يسار البيت « فى الأمعز » ولا أدرى أكان هذا من فعل الناسخ أم لا ؛ لأن ما بين يدى مصورة عن النسخة لا يتضح فيها ذلك . كما خلت هذه النسخة من الضبط تقريباً . ونص الديوان مكتوب بخط مغربى ، والفرق بين خط عنوان النسخة ، وخط النص واضح . وأرجح أن كاتب العنوان شخص آخر غير « ابن الكلابى » لاختلاف الخطين .

فمثلاً كلمة « الشماخ » التى رسمها ابن الكلابى فى ختام الديوان تختلف تماماً عن رسمها فى العنوان . وخط النسخة فى نص الديوان — عامة — ردىء كثير الأخطاء فى قواعد الكتابة ، وهى تتفق فى قواعد الكتابة مع نسخة الشنقيطى فيما عدا الفروق التى تكون عادة بين النساخ .

وهذه النسخة منقولة عن نسخة المدينة ، كما يظهر من خاتمة الناسخ فى آخر النسخة ، وهى النسخة التى نقلت عنها نسخة الشنقيطى أيضاً . فالاتفاق التام فى عدد وترتيب القصائد والأراجيز ، بل وفى كثير من الأخطاء يدل على ذلك ، وما بينهما من خلاف فرده — فى هذه النسخة — إلى خطأ الناسخ ، ومعظمه يرجع إلى جهل الناسخ ، وانتقال النظر[٢] والسهو .

وسنضرب أمثلة لهذه الفروق عند الكلام على الفرق بين النسخ الخطية للديوان بعد قليل .

---

(١) هكذا فى النسخة وهو خطأ صوابه « الآخرة » .

(٢) لمعرفة كيفية الخطأ بسبب انتقال النظر يراجع : تحقيق النصوص ونشرها : ٧١ .

(حـ) نسخة دار الكتب (٥٤٨ أدب) :

وهى نسخة لم ينص فيها على الناسخ ، ولا تاريخ النسخ ، ولا الأصل الذى نسخت منه .

وعدد صفحاتها (٢٦) صفحة من القطع المتوسط مسطحها ٢٤ × ١٥ ½ سم تسع الصفحة من ٢٤ إلى ٢٧ بيتاً ما عدا الصفحة الأخيرة (١٦ بيتاً) .

وتضم النسخة (٢٧) قصيدة وأرجوزة مرتبة على نحو ترتيب الشنقيطى ، وفى أعلا الصفحة الأولى كتب العنوان بخط نسخى عادى هو خط النسخة كلها ، ونصه كما هو مثبت بأعلى النسخة :

« هذا ديوان الشماخ ابن مزار [1]

ابن حرملة رضى الله عنه »

وهو مطابق لعنوان نسخة الشنقيطى حتى فى الخطأ

ويرجح أن خط النسخة يرجع إلى القرن الثالث عشر الهجرى — كما ذكر لى المرحوم الأستاذ فؤاد السيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية — ومما يؤيد هذا ما جاء عن شمال النص فى الصفحة الأولى بالهامش ، حيث كتبت هذه العبارة :

« مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضافة فى ٢٣ يونية سنة ١٨٨٣ » وهذا يدل على أن تاريخ نسخها يرجع إلى ما قبل سنة ١٣٠٣ هـ ، وخطها ولون مدادها وورقها كل ذلك يرجح أنها ترجع إلى ما قبل هذا التاريخ بفترة قليلة .

أما الصفحة الأخيرة فقد كتب فيها الناسخ بعد انتهاء النص على الجانب الأيمن من الصفحة :

« تم ديوان الشماخ رضى الله عنه »

أما على الجانب الأيسر من هذه الصفحة ، فقد بقى ما يدل على أن الناسخ كان يريد أن يكتب :

« وهذا ديوان الأعشى » ثم عدل عن ذلك بعد أن كتب الكلمة الأولى وبعض الثانية ، ثم ضرب على ما كتب ، ويدل على صواب ما ذكرنا أنه أكمل هذه الصفحة بثمانية أبيات من أول قصيدة الأعشى التى مطلعها :

---

(١) هكذا فى النسخة وهو خطأ صوابه « بن ضرار » بدون ألف وبالضاد .

ودِّع هريرة إن الركب مُرْتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (البسيط)

وقد عرفنا مما سبق فى وصف نسخة الشنقيطى أن ديوان الأعشى يقع فيها بعد ديوان الشماخ مباشرة ، وهو يبدأ فيها بالقصيدة التى أولها المطلع المذكور .

وقد خلت هذه النسخة من الضبط إلا فى النادر ، من وضع شدة على الحروف ، وقد تضبط العين المهملة برسم حرف صغير من جنسها تحتها .

أما هامش النسخة فليس فيه من التعليقات أو التصحيحات ، أو الاستدراكات إلا النادر ، وقد أحصيت هذه المواضع فلم تزد على تسعة مواضع ، وهى كلها بمداد النسخة وخطها ، من ذلك :

— فى البيت (٢٠) من القصيدة (٢) تعليق على كلمة « تعرج » عن يسار النص ، ونصه « تجعله أعرجاً » (كذا) .

— البيتان : ١١ ، ١٥ من القصيدة (١٨) سقطا من صلب النص سهواً ، واستدركهما الناسخ عن يسار النص مشيراً إلى موضع كل منهما من النص بعلامة الإلحاق .

— فى البيت : ٢ من القصيدة : ٣ طمس الحرفان الأخيران من كلمة « الصحاصح » فكتبهما الناسخ عن يسار البيت .

— فى البيت : ١٦ من القصيدة : ٦ ، كلمة « منخره » فى البيت على الصواب ، ولكنه أعاد كتابتها عن يسار البيت فى الهامش خطأ (منحرة) بالحاء . وهو تصحيف لا تصحيح . . . إلى غير ذلك .

والنسخة تحوى كل الأخطاء التى فى نسخة الشنقيطى قبل تصحيحها بقلم الشنقيطى ، وقد بقيت فيها هذه الأخطاء حتى الآن .

ومما سبق يتبين أن هذه النسخة منقولة من نسخة الشنقيطى — قبل تصحيحها — أو ربما من الأصل الذى نقلت عنه نسخة الشنقيطى .

وبالنسخة أخطاء كثيرة ترجع إلى خطأ الناسخ فى قراءة الخط المغربى ، وقد يسوقه هذا الخطأ إلى تحريف الكلمة كلها . ومن أمثلة ذلك ما يلى :

— كثيراً ما يخطئ فى قراءة الطاء فيرسمها كافا مثل : أشطان ، يرسمها : أشكال (القصيدة : ٢ البيتين : ٣و٣٦) .

و « شط » يكتبها « شك » (٥ / ٣٦) .

ـ أحياناً يقرأ القاف المغربية فاء ، مثل ملقح ، يرسمها : ملفح ، بالفاء (٢ / ٢٨) ، « وقوف » يكتبها : وفوق ، فيقرأ القاف فى أول الكلمة فاء والفاء فى آخر الكلمة قافا (٢ / ٥٥).

« بفتية » يرسمها : بقينة ، فيحرف الكلمة كلها (٤ / ٦) « المقاحيد » يكتبها : المفاحيد ، بالفاء ولا معنى لها . . إلى غير ذلك .

وهو مع ذلك لم يكن يجهل رسم القاف المغربية ، بدليل أنه قرأها كثيراً على الصواب ، وبدليل أنه كان يقرأ أحياناً الضاد [1] قافاً مع أنها منقوطة بنقطة واحدة . وذلك مثل :

(لضمزرا) يكتبها (لقمزرا) (٥ / ٤٣) . هذا إلى جانب أخطاء نحوية مثل :

(كأن حصان) ٧ / ١٠ . مع أنها على الصواب ـ أصلاً ـ فى نسخة الشنقيطى . إلى غير هذه الأخطاء التى ترجع فى معظمها ـ كما ذكرنا ـ إلى أن الناسخ لم يعتد قراءة الخط المغربى .

أما الخطأ فى قواعد الكتابة ، فهو كثير شائع فى النسخة ومن أمثلته :

ـ الفلات (الفلاة) القنات (القناة) . اللهات (اللهاة) يرسمها كلها بتاء مفتوحة .

ـ وتشكوا . ينشوا . تحنوُا . . . والصواب بدون ألف .

ـ رعا . طوا . فنا . استذكا . . . والصواب أن ترسم بالياء . . . إلخ .

بقى أن نشير إلى أن البيتين اللذين استدركهما الشنقيطى فى الهامش وهما : ١٥ ، ١٦ من القصيدة : ٥ ، قد خلا منهما النص فى هذه النسخة ، سواء فى صلب النص أم فى الهامش ، وهذا يعنى أيضاً أن تكون هذه النسخة منقولة من نسخة الشنقيطى ـ قبل تصحيحها ـ وفيما عدا ما ذكرنا لا يوجد فرق بين النسختين .

(د) نسخة دار الكتب (١٧٤٤ أدب) :

وهى نسخة حديثة ، كما يبدو من خطها النسخى الجميل ، ولون مدادها وورقها وتنسيقها ، ولا تحمل هذه النسخة أيضاً اسم الناسخ أو تاريخ النسخ أو مكانه ،

---

(١) انظر طريقة رسم الضاد المغربية فى وصف النسخة الشنقيطية .

كما خلت من النص على الأصل الذى نقلت منه .

و بمراجعتها على النسخ الخطية الأخرى تبين بما لا يدع مجالاً للشك — مما لاداعى للإطالة بتفصيله — أنها منقولة نقلاً سيئاً من نسخة دار الكتب (٥٤٨ أدب) السابق وصفها .

(هـ) النسخة التيمورية :

وهى نسخة محفوظة بالخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٩ شعر تيمور) . وخطهانسخى جميل للغاية ، منسق تنسيقاً بديعاً ، وتاريخ نسخها سنة ١٣١٠ هـ كما هو مثبت فى الصفحة الأخيرة منها بخط الناسخ . الذى لم يذكر اسمه ، ولا الأصل الذى نقل عنه ، وهذا نص ما كتبه عقب نهاية النص فى الصفحة الأخيرة :

« بحمد الله تعالى قد تم ديوان الشماخ بن ضرار ، وذلك فى يوم الخميس المبارك التاسع من شهر ذى القعدة ، وهو من شهور سنة ١٣١٠ ألف وثلاثمائة وعشرة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وعلى آله وصحبه وسلم » .

وعنوانها مكتوب على الصفحة الأولى بنفس خط النسخة ، وليس عليها سواه .

وعلى الصفحة الثانية ، وقبل النص قدم الناسخ ترجمة فى ستة أسطر للشماخ ، وهى ملخصة من خزانة الأدب للبغدادى (١/٥٢٦) .

و بمراجعة النسخة على النسخ السابقة ثبت أنها منقولة كذلك من نسخة دار الكتب (٥٤٨ أدب) كسابقتها .

ويلاحظ أن فى كل النسخ الخطية للديوان اضطرابا فى ترتيب أبيات بعض القصائد ، سننبه عليه عند التحقيق إن شاء الله .

الفرق بين النسخ الخطية :

يتلخص مما سبق فى وصف النسخ الخطية التى بين أيدينا للديوان ، أن كلاً من النسخة التيمورية ، ونسخة دار الكتب (١٧٤٤) منقولة من نسخة دار الكتب (٥٤٨ أدب) التى نقلت بدورها — على الأرجح — من النسخة الشنقيطية .

وعلى هذا فلا فرق بينها جميعاً إلا ما يكون من فرق بين النسخ المنقولة من أصل واحد عادة .

ويبقى أن نبين الفروق بين نسخة (ليدن) ونسخة (الشنقيطى) :

– البيتان رقم : ١٩ ، ٢٠ من القصيدة : ٢ ساقطان من نسخة ليدن ، وهما مثبتان فى صلب الأصل فى نسخة الشنقيطى بخط الناسخ .

– البيتان : ١٥ ، ١٦ من القصيدة : ٥ ساقطان من صلب الأصل فيهما ، إلا أن الشنقيطى استدركهما فى نسخته عند التصحيح فى الهامش – كما سبق – ولم يستدركا فى نسخة (ليدن) .

– سقط البيت : ١٢ من القصيدة : ٩ ، وهو فى صلب النص فى نسخة الشنقيطى ، وبخط الناسخ .

– لفق الناسخ بيتاً من بيتين – فى نسخة ليدن – وهما رقم : ٢٨ ، ٢٩ من القصيدة : ١١ ، فأخذ من الأول صدره ومن الثانى عجزه ، وسقط عجز الأول ، وصدر الثانى . وواضح أن سبب ذلك انتقال النظر ، حيث نسخ الشطر الأول من البيت : ٢٨ ثم انتقل نظره إلى الشطر الثانى من البيت : ٢٩ .

– سقطت كلمة (اشكو) من البيت : ١٣ من القصيدة : ١٢ من نسخة ليدن فقط .

– كرر البيت رقم : ٤ من القصيدة : ١٣ فذكره مرة قبل البيت : ٥ وأخرى بعده .

– سقطت كلمة (تدْر) من الشطر الثانى من البيت : ٥ من القصيدة : ١٥ فى نسخة ليدن فقط ، وكذلك كلمة (عنها) من الشطر الثانى من البيت : ٨ من القصيدة : ١٥ فى نسخة ليدن فقط .

– عنوان القصيدة : ١٨ فى نسخة ليدن : « وقال يمدح عرابة بن أوس رحمه الله » وهوفى نسخة الشنقيطى « وقال يمدح عرابة بن أوس رضى الله عنه » ولا ندرى أيهما تصرف فى الأصل .

– سقطت من الأرجوزة : ٢٧ الأبيات : ٧ – ١٢ من نسخة ليدن فقط .

كما كرر البيت : ٢٥ من نفس الأرجوزة مرتين متتاليتين فيها فقط .

ونكتفى بهذا القدر إذ أن هذه الفروق وأمثالها ترجع فى مجموعها – فى نسخة

ليدن — إلى السهو أو انتقال النظر أو نحوه ، مما لا ينقض ما ذهبنا إليه من أن النسختين كالنسخة الواحدة .

الديوان المطبوع :

نشر الديوان لأول مرة بعناية المرحوم العلامة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى بمطبعة السعادة (سنة ١٣٢٧ هـ) دون أن يقدم له ، أو يذكر النسخة أو النسخ التى اعتمدت عليها نشرته ، وقد ترجم للشماخ فى آخر الديوان ترجمة موجزة لفقها من : الأغانى ، وخزانة الأدب ، والإصابة ، والاستيعاب ، وهى أشبه بالمقتطفات منها بالدراسة العلمية لحياة الشاعر .

كما قام بشرح النص شرحاً يقصر حيناً ، ويجود أحياناً .

والأرجح أنه اعتمد فى نشر الديوان على نسخة أو أكثر مما بين أيدينا الآن ، فقد خلت هذه النشرة مما خلت منه النسخ الخطية التى نعرفها من أشعار الشماخ ، التى استطعنا أن نجمع الكثير منها أثناء جولتنا فى بطون الكتب والمراجع المختلفة — كما هو مبين فى الزيادات الملحقة بالديوان .

أما ما فى هذه النشرة من زيادات عن نسخنا الخطية فهو نوعان :

١ — أبيات ألحقها الناشر بآخر الديوان ، ونبه على المصادر التى جمعها منها ، وهى لا تزيد عن ستة أبيات منسوبة كلها للشماخ فى المصادر التى جمعها منها[١] ، وبعضها لم تصح عندنا نسبته للشماخ وسنبين ذلك فى موضعه[٢] .

٢ — أبيات زادها فى بعض قصائد الديوان — وسنشير إليها بعد قليل — وهى أيضاً مجموعة من المراجع المختلفة ، ولكنه هنا لم ينبه على مصادرها إلا فى موضع واحد[٣] .

وقد وقع الناشر فى بعض الأخطاء ، كما أباح لنفسه ألواناً من التصرف فى النص

---

(١) انظر : نشرة الشنقيطى للديوان : ١١٧ — ١١٨ .

(٢) انظر : ملحق الديوان : ١٦ والتعليق عليه فى الهامش .

(٣) انظر : نشرة الشنقيطى للديوان : ١٢ سطر ١٢ ، ١٣ .

باعدت ــ نوعاً ما ــ بين طبعته ونص الديوان ، كما هو بين أيدينا . فمن ذلك[١] :

ص ٣ القصيدة : ١ البيت : ١٠ صدر هذا البيت مكرر فى بيتين متتاليين وعجزه هو نفس عجز البيت : ١٥ من نفس القصيدة .

ونرجح أن هذا البيت ملفق من صدر البيت (١١) وعجز البيت (١٥) وسبب ذلك ــ غالباً ــ هو أن الناشر ــ أو الناسخ لنسخته التى اعتمد عليها ــ كتب صدر البيت (١١) ثم انتقل نظره إلى عجز البيت (١٥) لتشابه صدر البيتين (١١ ، ١٥) من حيث انتهاء كل منهما بقوله « الوردمنه » ثم عاد فنقل البيت رقم (١١) كاملا ، وهذا البيت الملفق غير موجود فى النسخ الخطية التى بين أيدينا ، والموجود فيها هو البيت (١١) فقط .

ص ١٥ : ٢ / ٤٩ : قدم هذا البيت على ما بعده ، وهو متأخر عنه فى نسخنا ، ووضعه فى هذه النسخ أنسب للمعنى .

ص ١٧ : ٢ / ٥٩ : موضعه فى كل النسخ الخطية بعد البيت : ٥١ ، وما فعله هو الصواب لمناسبته للمعنى ، ولكن كان عليه أن ينبه على ذلك فى الهامش.

ص ٢٠ : ٤ / ١٠ : هذا البيت غير موجود فى النسخ الخطية ، وهو من زيادات الناشر ، وأرجح أنه نقله من الأغانى[٢] ثم أضافه إلى النص فى هذا الموضع دون إشارة إلى ذلك فى الهامش .

ص ٢٥ : ٥/٢٣ : بعده بيت ساقط وهو موجود فى كل النسخ الخطية ، والذى يظهر أنه أسقط عمداً لخفاء مناسبة البيت لما قبله وما بعده .

ص ٢٧ : ٦ / ١١ : موضعه فى النسخ الخطية بعد البيت الذى بعده ، وموضعه فى هذه النسخ أنسب للمعنى .

ص ٥٥ : ١٠ / ١٠ : بعده بيت ساقط ، وهو فى موضعه فى النسخ الخطية ، ولعله أسقط عمداً لاستغلاق معناه ، وفى هذه القصيدة أيضاً قدم البيت (١١) على ما بعده ، وما فعله هو المناسب للمعنى ، ولكن كان عليه أن ينبه على هذا التصرف فى الهامش .

---

(١) الأرقام التى سنوردها هنا ، هى حسب ترقيم نشرة الشنقيطى ، والرقم الأول للصفحة والثانى للقصيدة ، والثالث للبيت .

(٢) راجع الأغانى : ٨/١٠٠ .

ص ٥٧ : ١١ / ١٠ : بعده بيت ساقط من هذه النشرة فقط ، ولعله سقط سهواً؛ لأن فى البيت الذى بعده (١١) ضميراً مرجعه فى هذا البيت الساقط ،وقد التمس له الناشر مرجعاً معلوماً ذهناً (١) .

ويمكن تعليل مثل هذه الظاهرة المتكررة فى هذه النشرة ، بأن الناشر نسخ لنفسه نسخة من أصله الذى اعتمد عليه ،فسقطت منه بعض الأبيات سهواً عند النسخ .

ص ٦٢ : ١١ / ٣٤ : هو نفس البيت : ١٣ برواية أخرى ، وقد علق الناشر على ذلك فى الهامش قائلاً : « وهذا البيت قد تقدم مشروحاً قبل عشرين بيتاً ، وإنما كررناه تبعاً للأصول الموجودة » وهذا البيت ليس مكرراً فى النسخ الخطية ، وهو فيها رقم : ١٤ .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الرواية (٣٤) قد عثرت عليها فى التاج (بدع) ونصن كلام الناشر السابق يمنعنا من افتراض عثوره على هذه الرواية وإثباتها فى هذا الموضع ، وإلا فما بال هذه الأصول التى يشير إليها؟؟ . .

الحق أننا لا نجد تعليلاً معقولاً يوفق بين تعليق الناشر ، وهذه الرواية التى عثرنا عليها إلا أن نفترض — مجرد افتراض — أن هذه الرواية كانت مثبتة على هامش إحدى النسخ فى هذا الموضع ، ثم جاء بعض النساخ فأدخلها — خطأ — فى صلب النص ، ووقع الناشر على هذه النسخة فأثبت البيت كما وجده ، وقال ما قال .

ص ١٩ : القصيدة رقم (٤) رقمها فى كل النسخ الخطية (١٥) قدمها مع أنها لامية لمناسبتها فى المعنى للقصيدة الحائية التى قبلها : ٣؛ لأن الشماخ يتحدث فى كلا القصيدتين عن قصة زوجته السلمية ،التى ذكرناها فى دراستنا لحياته . ولم ينبه أيضاً على هذا التصرف .

— المقدمات التى قدم بها القصائد : ١ ، ٣ ، ٤ ، ١٣ ، ١٧ ليست فى صلب النص ، ولا فى لهامش فى أية نسخة خطية مما بين أيدينا ، ولاشك أنها من تصرف الناشر، كما يتضح ذلك من مقدمتى القصيدتين : ٣ ، ٤ خاصة ، وكان عليه أن ينبه على أنها من زيادته ، أو يضعها بين العلامة الدالة على ذلك [ ] .

---

(١) راجع : نشرة الشنقيطى للديوان : ٥٨ سطر : ١١ .

ص ٨٨ : ١١/١٧ : قبله بيت ساقط ، وأرجح سقوطه عمداً ؛ لأن فى صدره تحريفاً وتصحيفاً فى كل النسخ الخطية جعل معناه مستغلقاً .

وفى نفس القصيدة أخر البيت : ١٠ عن البيتين اللذين قبله ، وهو قبلهما فى النسخ الخطية ، وموضعه فى المطبوع أنسب للمعنى ، ولكن فاته أن ينبه على ذلك .

ص ٩٤ : ١٨ / ١٨ : موضعه بعد البيتين اللذين بعده فى النسخ الخطية ، وموضعه فى المطبوع أنسب للمعنى ، ولكنه أغفل التنبيه على ذلك أيضاً .

ص ١٠٩ : فى الأرجوزة : ٢٤ لا يوجد فى النسخ الخطية البيتان : ٤ ، ٦ والموجود فيها : ٣ ، ٥ فقط ولا شك أن هذا من تصحيحات الناشر التى أهمل التنبيه عليها .

ونكتفى بهذا القدر للتدليل على أن « نشرة الشنقيطى » للديوان قد حوت بعض الأخطاء ، وألواناً من التصرف فى النص ، إليها ترجع أهم الفروق بين هذه الطبعة ، والنسخ الخطية للديوان .

على أن هناك فروقاً أخرى ترجع فى مجموعها إلى تصحيحات قام بها الناشر ، بعضها مجانب للصواب ، أو أخطاء فى القراءة ، أو نحو ذلك ، مما سننبه على بعضه عند تحقيق النص .

ولا يفوتنا — أخيراً — أن نشير إلى أن عدد القصائد والأراجيز فى هذه النشرة متفق مع عددها فى كل نسخ الديوان الخطية ، التى تيسر لنا الحصول عليها .

وقصارى القول فى هذه النشرة ، أنها ظهرت فى فترة لم يكن معظم الناشرين فيها يأخذون فيما ينشرون من تراثنا القديم بمناهج التحقيق العلمى التى نلتزمها الآن ؛ ولذا جاءت على هذه الصورة التى وصفناها ، والتى لا تتيح للدارسين أن ينتفعوا بها على الوجه المرضى .

ومهما يكن من شىء فإن للناشر — رحمه الله وأجزل ثوابه — فضل السبق فى بعث هذا الديوان ، وبذل الجهد فى نشره ، فاستحق منا الثناء والإجلال .

هذا ، ولم يسبق للديوان أن نشر كاملاً إلا فى هذه النشرة — فيما نعلم .

وقد سبق أن نشر الأستاذ المستشرق « جاير : VON-R-GEYER » جزءاً من ديوان الشماخ ، وهو الجزء الأخير الذى يضم أراجيز الديوان ، وذلك ضمن ما اختاره

من أراجيز العرب وأسماه « مشارف الأقاويز فى محاسن الأراجيز » (طبعة ليبزج سنة ١٩٠٨) .

وقد اعتمد فى نشرته على نسخة نقلت له من نسخة دار الكتب المصرية (٥٤٨ أدب) واستعان بنسخة أخرى نقلت أيضا للأستاذ المستشرق « ليال » من نسخة دار الكتب المذكورة ، أعارها له ليستعين بها لسوء خط نسخته وكثرة الأخطاء فيها ، وصعوبة قراءتها . وقد نص على ذلك فى مقدمة كتابه المذكور[1] .

وغاية ما يقال فى هذه النشرة : أن « جاير » بذل جهداً مشكوراً فى محاولة تقويم النص ، و راجع لذلك بعض الكتب مثل : خزانة الأدب للبغدادى ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، والمعرّب للجواليقى ، والأغانى .

غير أن نشرته لم تخل من الأخطاء الناشئة من الخطأ فى القراءة ، وهى كثيرة ، وكثيراً ما أدت إلى تحريف النص وتصحيفه ، كما أنه ترك كثيراً من الأخطاء التى فى الأصل الذى نقل عنه . دون تصحيح ، وسنشير إلى كل ذلك عند تحقيق أراجيز الديوان .

ومما يحمد للناشر جمعه لبعض الزيادات ووضعها فى أماكنها من النص التى رآها مناسبة ، ونبه على ذلك فى مقدمته مع وضعها بين معقفين[ ] .

وكذلك تعليقاته القيمة ، على هذه الأراجيز فى مقدمته بالألمانية للكتاب ، وقد أفدنا من هذه التعليقات — كما سنبين عند التحقيق .

أما نشرتى هذه : فقد حاولت فيها أن أستدرك ما فات هذه النشرة (نشرة الشنقيطى) ، فأجبر نقصها فى الدراسة والشرح والتحقيق ، وأنفض عن الديوان ما علق بنسخته المطبوعة الوحيدة من أخطاء ، وأجمع ما فاتها من شعر الشماخ ، مما هو منثور فى بطون أمهات الكتب العربية المختلفة الفنون والأنحاء ، مطبقا فى ذلك كله المنهج العلمى ، فى تحقيق النصوص وشرحها وتخريجها .

هل يجمع المطبوع كل شعر الشماخ :

نحب أن نؤكد ما سبق أن قلناه خلال حديثنا عن نسخ الديوان — الخطية والمطبوع — من أن هذه النسخ جميعها بما فيها نشرة الشنقيطى لا تضم كل شعر

---

(١) انظر : ٩٨ وما بعدها من المقدمة الألمانية لكتاب : مشارف الأقاويز فى محاسن الأراجيز .

الشماخ ، وقد ثبت لنا ذلك من مراجعتنا لمختلف الكتب والمراجع أثناء تحقيق الديوان ، وتخريج ما فيه من أشعار وأراجيز .

فقد تبين خلو هذه النسخ مما يلى :

١ ــ قصائد كاملة للشماخ .

٢ ــ أبيات من قصائد موجودة فى هذه النسخ .

٣ ــ أبيات قد تكون بقايا قصائد ، وقد تكون مفردة .

٤ ــ مقطوعات صغيرة .

وتفصيل وبيان ذلك هو موضوع قسم الزيادات الملحقة بالديوان ، فلا نطيل بذكره هنا ، وقد يضاف إلى ما تقدم ما استشعرته أثناء قراءاتى ودراساتى المتكررة للديوان ــ مخطوطاته ومطبوعه ــ من أن هناك قصيدتين من قصائده (١ ، ١٦) ناقصتين من أولهما .

ولعله مما يعزز هذا الشعور بالنسبة للقصيدة (١) أمران :

١ ــ أنها بدأت بذكر الناقة ، ثم انتقل الشاعر فى البيت (٧) إلى تشبيه هذه الناقة بحمار الوحش ، واستطرد الشاعر فذكر قصة هذا الحمار مع أتنه ، وكيف أوردها الماء ، وتعرض الصياد له ولها ، وكيف نجا بها ، مخلفاً الصياد يعض على أنامل خائبات ، وبذا تنتهى القصيدة .

فإذا علمنا أن لهذه القصيدة فى الديوان أخوات لها فى الموضوع ، وأن هذه القصائد تبدأ بالنسيب ــ على ما هو معروف من نظام القصيدة العربية الجاهلية ــ الذى قد يطول فى بعضها ، ويقصر فى بعضها الآخر ، ثم يأتى ذكر الناقة ووصفها ، وتشبيهها بحمر الوحش ، ثم الاستطراد إلى وصف هذه الحمر الوحشية وأحوالها ، وما حدث منها أولها . . . إلخ ، ويستغرق ذلك بقية هذه القصائد ، كما نرى فى القصائد : ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ .

فلماذا شذت هذه القصيدة عن هذا النهج ، الذى يكاد يكون مطرداً فى كل القصائد المشار إليها ؟

٢ ــ ما يلاحظ فى نسخ الديوان الخطية من إيراد هذه القصيدة ــ وهى أولى قصائد الديوان ــ بدون أن يسبقها : « قال الشماخ » أو نحوه ، مما هو طبيعى

بالنسبة للقصيدة الأولى فى كل الدواوين التى عرفناها .

وليس لهذا دلالة إلا سقوط أبيات — قليلة أو كثيرة لا ندرى — من أول هذه القصيدة وسقط معها عنوانها ، بسبب خرم فى أصل الديوان لم ينبه عليه النساخ .

أما بالنسبة للقصيدة (١٦) فدليلنا على ما ذهبنا إليه فيها أمران أيضا :

١ — ابتداؤها بتشبيه الناقة بحمار الوحش ، واستغراق أبياتها كلها فى الحديث عن هذا الحمار وأتنه ، والصياد الذى تربص به وبها .

ونحسب أنه من الطبيعى — حسب ما نرى فى القصائد التى أشرنا إليها فى الكلام على القصيدة الأولى وغيرها من قصائد الديوان ، التى تتضمن التشبيه بحمر الوحش — نقول : من الطبيعى أن يسبق هذا التشبيه حديث عن الناقة المشبهة — على الأقل .

٢ — أن هذا الأسلوب فى تشبيه الناقة بحمار الوحش أو الأتان ، وهو قوله : « كأنى كسوت الرحل جوناً رباعيا . . » إلخ قد استخدمه الشاعر فى عدة قصائد كوسيلة إلى الانتقال من الحديث عن الناقة إلى الحديث عن الحمر الوحشية ، نجد ذلك فى القصائد : ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ولم يأت فى أى منها مطلعاً لقصيدة ، فلماذا تشذ هذه القصيدة عن هذا الاطراد ؟

أغلب الظن أنها لم تشذ ، وأنها كانت سوية الخلق كأخواتها ، ثم عرض لها خرم فى نسخة الأصل أسقط جزءاً من أولها لا يعرف قدره ، ولم ينبه عليه النساخ .

ومن الحق أن نذكر أننا لم نعثر — فيما جمعناه من زيادات — على شعر للشماخ من هاتين القصيدتين ، ولو كنا قد عثرنا على شىء من ذلك لنهض وحده دليلاً على ما ذكرنا .

بقى أن نذكر أن من الأدلة على أن بعض القصائد التى يضمها ديوان الشماخ — سواء المطبوع والمخطوط — ناقصة : ما ذكره عبد القادر البغدادى فى خزانة الأدب[1] عند الكلام على بيت الشماخ :

ذعرتُ به القَطا ونفيْتُ عنـــه مَقَامَ الذِّئب كالرَّجُـــلِ اللَّعين

(القصيدة : ١٨ فى الديوان)

وذلك قوله : « وهذا البيت من قصيدة عدتها : ٣٤ بيتا للشماخ بن ضرار . . »

---

(١) الخزانة : ٢/٢٢٢ .

والموجود الآن من هذه القصيدة فى المطبوع والمخطوط : ٢٩ بيتا فقط ، أى أن هناك أبياتا خمسة قد سقطت من هذه القصيدة لسبب أو لغيره .

٣ – مدى صحة الديوان :

بعد مراجعة الديوان على مختلف المصادر العربية التى اطلعنا عليها – ما بين مطبوعة ومخطوطة – تبين لنا ما يلى :

١ – هناك قصيدة رويت كلها متفرقة فى هذه المصادر منسوبة إلى الشماخ وهى رقم ٣ : فى الديوان .

٢ – قصائد روى معظمها متفرقاً فى هذه المصادر ، منسوباً إلى الشماخ وهى القصائد :

(٨) ما عدا البيتين : ٤٣ ، ٤٤ ، وقد رويت هذه القصيدة مجتمعة فى « جمهرة أشعار العرب » المنسوبة إلى أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى [١] ما عدا الأبيات : ١٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ .

والقصيدة : (١٠) : ما عدا الأبيات : ١٠ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ .

والقصيدة : (١٥) : ما عدا الأبيات : ٣ ، ١٠ ، ١١ .

والقصيدة : (١٨) : ما عدا الأبيات : ١٧ ، ٢٧ ، ٢٩ .

٣ – قصائد روى منها أكثر من نصفها منسوبة للشماخ : وهى :

القصيدة : (٢) : روى منها : ٣٩ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٥٨ بيتاً .

القصيدة : (٤) : روى منها : ٢٢ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٣٢ بيتاً .

القصيدة : (٥) : روى منها : ٣١ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٤٥ بيتاً .

القصيدة : (٦) : روى منها : ١٣ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٢٣ بيتاً .

القصيدة : (١٢) : روى منها : ١٢ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٢١ بيتاً .

القصيدة : (١٤) : روى منها ٢٠ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ ٣٠ بيتاً .

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ٣١٠ ولم نعثر على ترجمة للقرشى هذا ، ويذهب الدكتور ناصر الدين الأسد : إلى أنه شارح الجمهرة وراويها عمن يدعى : أبو عبد الله المفضل بن عبد الله بن محمد بن المجبر – وهو مجهول أيضاً – كما يرجح الدكتور ناصر أن القرشى عاش فى القرن الرابع الهجرى ، وأن ابن المجبر من رجال أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع . (راجع : مصادر الشعر الجاهلى : ٥٨٤ وما بعدها) .

٤ – قصيدة روى نصفها منسوباً إلى الشماخ وهى القصيدة : (١٧) .
روى منها : ١١ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٢٢ بيتاً.

٥ – قصيدة روى منها ما يقرب من نصفها منسوباً إلى الشماخ وهى القصيدة :(١١) .
روى منها : ١٢ بيتاً من مجموع أبياتها البالغ : ٣١ بيتاً .

٦ – قصيدة روى منها ما يقرب من ثلثها منسوباً للشماخ ، وهى القصيدة :(٧).
روى منها : ٩ أبيات من مجموع أبياتها البالغ : ٣٠ بيتاً .

٧ – قصيدة روى منها ٦ أبيات فقط وهى القصيدة: (١) روى منها الأبيات: ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ وكلها منسوبة للشماخ ما عدا البيت : ١٧ فهو غير معزو .

٨ – قصيدة روى منها : ٤ أبيات فقط : وهى القصيدة : (١٦) روى منها الأبيات : ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ منسوبة للشماخ .

٩ – قصيدة روى منها : ٣ أبيات فقط ، وهى القصيدة (٩) روى منها : ١ ، ٢ ، ١٦ منسوبة للشماخ .

١٠ – قصيدة لم يرو منها إلا بيت واحد وهى القصيدة: (١٣) روى منها البيت ٦ منسوباً للشماخ .

وقد بلغ عدد الأبيات التى رويت للشماخ فى المصادر التى راجعناها (٣١٠) بيتاً ، والتى لم ترد فى هذه المصادر – أوردت فيها بدون نسبة – (٢١١) بيتاً .

أى أن نسبة ما روى من شعر الديوان منسوباً للشماخ فى هذه المصادر هى : ٦٠ ٪ تقريباً .

ونسبة ما لم يرو ، وما روى بدون نسبة هى : ٤٠ ٪ تقريباً .

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع أن نطمئن إلى نسبة قصائد الديوان التى رويت كلها ، أو معظمها ، أو أكثر من نصفها إلى الشماخ ، وعددها : (١١) قصيدة ، من مجموع قصائد الديوان البالغ عددها : (١٨) قصيدة .

وأما القصائد التى روى منها نصفها ، أو أقل من نصفها أو أبيات منها ، أو بيت واحد (وعددها ٧ قصائد) فنحن نميل إلى صحة نسبتها أيضاً له ، ويمكن

أن نرجع ما لم يرد منها ، أو من غيرها فى هذه المصادر ، إلى أن الاهتمام برواية شعر الشماخ فى المصادر المختلفة كاد يكون مقصوراً على كتب اللغة أو ما شابهها . ولم تكن هذه الكتب لتستوعب كل شعره ؛ لأنها إنما تروى هذه الأشعار للاستشهاد بها ، وقد لا يكون كل شعر الشماخ صالحاً للاستشهاد به ، على أن الاستشهاد بالشعر فى كتب اللغة وما يلحق بها ليس وقفاً على شعر الشماخ ، فقد يكون فيه ما يصلح أن يكون موضع شاهد ، ولكنها تروى شاهداً من شعر غيره .

وسيتضح هذا الأمر أكثر عند عرضنا لشعر الشماخ فى المصادر المختلفة الآتى بعد قليل .

هذا بالنسبة لما فى الديوان من أشعار ، أما أراجيز الديوان فهى نوعان :

١ ــ أراجيز منسوبة للشماخ فى الديوان .

٢ ــ أراجيز منسوبة لغيره فى الديوان .

أما أراجيز الشماخ وهى أرقام : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ــ فى الديوان ــ فكلها مروية فى المصادر المختلفة منسوبة إليه ما عدا البيتين : ١٩ ، ٢٢ من الأرجوزة : (٢٢) فلم نجدهما فى هذه المصادر .

وأما الأراجيز المنسوبة إلى غيره فى الديوان : فقد اضطربت نسبتها فى مصادرنا اضطراباً شديداً .

ومعظم أبياتها روى فى مختلف المصادر بدون عزو ، كما يظهر من تخريج هذه الأراجيز فى الديوان .

٤ ــ عرض لشعر الشماخ فى المصادر المختلفة :

اختلفت المصادر التى راجعناها فى تحقيق شعر الشماخ وتخريجه ، من حيث مقدار ما روته كل مجموعة منها .

وفيما يلى إحصائية تقريبية لعدد الأبيات التى رويت فى كل مصدر منها ، اقتصرنا فيها على أكثر هذه المصادر اهتماماً بشعر الشماخ ، مرتبين لكل مجموعة بحسب وفيات أصحابها .

(ا) كتب اللغة وما يلحق بها :

١ ــ جمهرة اللغة لابن دريد: (٤٥) بيتاً منها بيت زائد نسب منها إلى الشماخ (١٤) والباقى بدون عزو .

على أن معظم ما رواه ابن دريد فى الجمهرة من شعر الشماخ بدون عزو ، روى منسوباً إليه فى المصادر الأخرى .

٢ ــ مقاييس اللغة لابن فارس: (٤٠) بيتاً منها بيث زائد ، و (١٤) بيتاً بدون عزو .

٣ ــ الصحاح للجوهرى : (٣٧) بيتاً منها ٣ أبيات زائدة و (٤) أبيات بدون عزو .

٤ ــ المخصص لابن سيده : (٥٥) بيتاً منها ٥ أبيات زائدة و (٣٠) بدون عزو .

٥ ــ المحكم لابن سيده : (٣٣) بيتاً منها ٣ أبيات زائدة وكلها منسوبة للشماخ ، ويلاحظ أن كثيراً مما رواه ابن سيده فى (المخصص) بدون نسبة من شعر الشماخ نسبه فى المحكم إليه .

٦ ــ معجم ما استعجم للبكرى : (٣٩) منها ١١ بيتاً زائداً وكلها منسوبة للشماخ .

٧ ــ أساس البلاغة : (٦٩) منها ١٧ بيتاً زائداً وكلها منسوبة للشماخ .

٨ ــ معجم البلدان : (٢٩) منها ١٠ أبيات زائدة وبيت واحد بدون عزو .

٩ ــ التكملة للصاغانى : (٢٨) منها ٣ أبيات زائدة وبيت واحد بدون عزو .

١٠ ــ لسان العرب : (١٥٨) منها ١٩ بيتاً زائداً و (٩) أبيات بدون عزو .

١١ ــ تاج العروس : (١٤٥) منها ٢٠ بيتاً زائداً و (٥) أبيات بدون عزو .

ومعظم ما روى فى تاج العروس من شعر الشماخ أخذ عن اللسان ، إلا أن صاحب التاج عزا بعض الأبيات التى أوردها ابن منظور بدون عزو إلى الشماخ .

أما كتب اللغة الأخرى وما يلحق بها ــ وهى كثيرة ــ فكان نصيب شعر الشماخ من اهتمامها قليلاً .

(ب) كتب الأدب :

١ ــ الحيوان للجاحظ : (٣٨) بيتاً منها بيتٍ زائد و (٩) أبيات بدون عزو .

٢ ــ المعانى الكبير لابن قتيبة : (٥٦) بيتاً منها ٧ أبيات زائدة وبيتان فقط بدون عزو .

٣ ــ الكامل للمبرد : (٢٤) بيتاً منها بيتان زائدان وكلها منسوبة إلى الشماخ .

٤ ــ أمالى القالى : (٢٧) بيتاً منها ٥ أبيات بدون عزو .

٥ ــ الأغانى : (٣٠) منها ٣ أبيات زائدة وكلها منسوبة للشماخ .

٦ ــ سمط اللآلىء : (٣٧) كلها منسوبة للشماخ ، وما أورده أبو على القالى فى أماليه ــ من شعر الشماخ ــ غير منسوب إليه نسبه البكرى فى السمط للشماخ .

٧ ــ الاقتضاب للبطليوسى : (٢٠) كلها منسوبة للشماخ .

٨ ــ شرح أدب الكاتب للجواليقى : (١٧) كلها منسوبة للشماخ .

وأما ما عداها من كتب الأدب المختلفة فلم ترو من شعر الشماخ إلا القليل

(ح) كتب الاختيار وما يلحق بها :

المختار من شعر الشماخ فى هذه الكتب قليل ، ففيما عدا : جمهرة أشعار العرب ، والحماسة البصرية ، لا نجد له إلا أبياتاً قلياة فى بعضها ، وبعضها لم يرو له بيتاً واحداً .

فلم يرو له شعر فى : المفضليات ، والأصمعيات ، والوحشيات (الحماسة الصغرى) ، والزهرة ، ومنتهى الطلب ، وروى له ابن الشجرى فى حماسته بيتين فقط .

أما الحماسة الكبرى لأبى تمام فقد روى للشماخ فيها أربعة أبيات من القصيدة : ٢ أرقامها فى الديوان : ٢٣ ــ ٢٦ ثم ستة أبيات أخرى هى التى فى ملحق الديوان رقم (٣١) وهذه الأبيات الستة مختلف فى نسبتها للشماخ ، وهى فى كثير من المصادر لمزرد أو جزء أخوى الشماخ .

ولم يرو له البحترى فى حماسته إلا أبياتاً خمسة .

وفى مجموعة المعانى (لمؤلف مجهول) (١١) بيتاً منسوبة للشماخ .

أما جمهرة أشعار العرب : فقد روت له من قصيدته الزائية (٥٢) بيتاً ، كما بينا سابقاً .

كما روت له بيتاً واحداً من كل من القصيدتين (١٠) ، (١٨) وبيتاً زائداً من القصيدة الزائية ، كذلك روت له الحماسة البصرية : (٤٠) بيتاً منها ٧ أبيات زائدة وكلها منسوبة للشماخ :

(د) كتب النحو وما يلحق بها :

شعره فيها قليل أيضاً ، وأكثرها رواية لشعره ما يلى :

١ ــ المقصور والممدود للقالى : (١٣) بيتاً منسوبة كلها للشماخ .

٢ ــ شرح شواهد المغنى للبغدادى : (٢٠) بيتاً منها ١٠ أبيات زائدة وكلها منسوبة للشماخ .

٣ ــ خزانة الأدب للبغدادى : (٣١) بيتاً كلها منسوبة للشماخ .

(هـ) كتب البلاغة والنقد :

١ ــ نقد الشعر لقدامة : (١٥) بيتاً منها بيت زائد وكلها منسوبة للشماخ .

٢ ــ الصناعتين لأبى هلال : (١٣) بيتاً منها بيت واحد فقط غير منسوب .

وباقى كتب النقد والبلاغة شعره فيها قليل جداً ، ومعظمها لم يرو له إلا البيت أو البيتين أو الثلاثة كالموازنة للآمدى ، والمثل السائر لابن الأثير ، والوساطة للجرجانى .

(و) كتب التفسير :

١ ــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : (١٢) بيتاً منها (٥) أبيات غير معزوة .

٢ – البحر المحيط لأبى حيان : (١٣) بيتاً منها بيت زائد وبيتان غير معزوين .

وندر شعر الشماخ فيما عداهما من كتب التفسير .

(ز) كتب التاريخ وما يلحق بها :

وهى وكتب الطبقات أقل المصادر رواية لشعر الشماخ ؛ إذ لم يزد ما روى له فى كل منها عن ثلاثة أبيات فأقل إلا : أنساب الأشراف للبلاذرى : فقد روى له (١٠) أبيات منها بيت زائد وبيت غير معزو ..

أما مؤلفو كتب الطبقات : فمن ترجم للشماخ منهم – وهم قلة – كان يذكر له البيت أو البيتين أو الثلاثة إلا ابن حجر فى الإصابة فقد روى له (٦) أبيات منها بيت زائد وكلها منسوبة للشماخ .

ومما سبق يتبين أن أكثر الكتب اهتماماً بشعر الشماخ كتب اللغة ، ثم كتب الأدب . وقد يرجع ذلك إلى أن شعر الشماخ يجمع ثروة لغوية كبيرة ، إلى جانب أنه قيل فى عصر يصح الاستشهاد بشعره ، مما جعله طلبة للغويين يستشهدون به فى كتبهم ، وخاصة فى معاجم الألفاظ اللغوية – كما رأينا .

وهذا يعزز ما سبقت الإشارة إليه من أن شعر الشماخ جمع فى تلك الفترة التى نشط فيها رواة اللغة ، يجمعون الشعر للاستشهاد به على مسائل اللغة .

أما مؤلفو كتب الأدب فلم يجتذبهم شعر الشماخ كثيراً ، ولعل من أسباب ذلك ، ما يلاحظ من قلة تنوع الأغراض فى شعره حيث استغرق الوصف – وخاصة وصف الحمر الوحشية والناقة – معظم هذا الشعر ، يضاف إلى ذلك كثرة الغريب فى شعره ، كثرة جعلت البحث عن بعض معانيه يحتاج إلى كثير من الجهد وإعمال الذهن والرجوع إلى كتب الغريب .

ومعلوم أن معظم كتب الأدب القديمة كانت تهدف إلى الجمع بين التعليم والتثقيف من جهة ، والتسلية من جهة أخرى ، ومن أجل هذا كثر فيها التنويع والاستطراد والتنقل من موضوع إلى آخر ، ومن باب إلى غيره ، ومن ثم لم يكن لشعر الشماخ فيها نصيب كبير ؛ إذ لم يقبل عليه مؤلفوها كثيراً ، وربما لم يجدوا فيه

ما يصلح للمدارسة — على الأقل من وجهة نظرهم — كما صرح بذلك البغدادى[١] . وكما يستفاد من قول محمد بن سلام : « فأما الشماخ فكان شديد متون الشعر ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقاً[٢] » يريد أنه قليل الماء غير لين ولا سهل .

ولعل ما ذكرنا هو — أيضاً — ما حرم شعر الشماخ من أن يكون له نصيب كبير فى كتب الاختيار . ثم إن بعد هذا الشعر عن أحداث عصره ، لم يجعل منه مقصداً للمؤرخين وأمثالهم ، ممن ألفوا فى أيام العرب وأخبارهم وسير أشرافهم فى الجاهلية وصدر الإسلام .

أما ما نلاحظه من قلة اهتمام بعض المؤلفين بنسبة الشعر إلى قائله ، والاكتفاء بروايته غير معزو إلى قائل بعينه — وبخاصة المتقدمين منهم — فليست هذه ظاهرة مقصورة على شعر الشماخ ؛ ذلك أن الشعر عندهم — باستثناء كتب الاختيار وما يلحق بها — لم يكن غاية تقصد ، وإنما هو وسيلة تلتمس لغيرها من الغايات ، فهو يساق للاستدلال والاحتجاج ونحوهما ؛ ولذلك لا يعنى مؤلفو هذه الكتب بنسبة الشعر إلى شاعر بذاته ، بقدر عنايتهم بأن يكون هذا الشعر قديماً ، وأن يكون قد قيل فى عصر يصح الاحتجاج والاستشهاد بشعره[٣] .

٥ — منهج التحقيق :

لما كانت النسخة الشنقيطية هى أكمل النسخ التى بين أيدينا ، وأقلها أخطاء ، فقد اتخذتها أصلاً فى التحقيق ورمزت لها بالرمز (ص) واستأنست إلى جانبها بنسخة « ليدن » ورمزها « ل » ونسخة دار الكتب (٥٤٨) ورمزها « م » .

أما المطبوع ، فقد اقتصرت إشاراتى إليه على التنبيه على ما فيه من خطأ ، أو تصرف مخالف لما فى نسخ الديوان ومصادر النص الأخرى — إن وجد .

وقد شمل تحقيق النص ما يلى :

(ا) ضبط النص . (ب) تصحيح ما وقع فيه من تصحيف أو تحريف .

---

(١) شرح شواهد المغنى : ٢/٥٩٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١١٠ .

(٣) راجع : مصادر الشعر الجاهلى : ٥٩٢ وما بعدها .

(حـ) إثبات اختلاف الروايات . (د) شرح ما يحتاج منه إلى شرح. (هـ) تخريجه فى المصادر المختلفة . (و) جمع الزيادات المتفرقة فى مختلف المصادر .

ضبط النص :

خلت نسخ الديوان من الضبط كما ذكرنا سابقاً ؛ ولذا عنيت بضبطه ضبطاً دقيقاً ، وإذا صح فى اللفظ أكثر من ضبط ، أثبت فى النص أعلى رواياته ، وأشرت فى الهامش إلى ما يجوز فيه ، وأوردت قول العلماء باللغة فى ذلك إن وجد ؛ وكانت كتب اللغة ومعاجمها سندى فى هذا الضبط .

تصحيح النص :

أعانى على تصحيح ما فى النص من تصحيفات وتحريفات ، ما أثبته المرحوم العلامة ابن التلاميد الشنقيطى من تصحيح كثير من أخطاء نسخته ، وقد أشرت إلى ذلك فى مواضعه .

كذلك كان لوفرة المصادر التى راجعتها فى تخريج النص أكبر العون فى ذلك .

ومن هذه الأخطاء ما بان لى وجه صوابه فكنت أثبت الصواب فى صلب الأصل ، وأشير فى الهامش إلى ما كان فى الأصل ، وما خفى على وجه صوابه تركته على حاله وذكرت فى الهامش : أنه خفى على صوابه ، أو ذكرت ما رأيته ممكناً فيه .

وقد اعترضتنى ألفاظ فى روايات النص فى المصادر المختلفة ، رجحت أنها مصحفة أو محرفة ، وأشرت إلى ما ظننته الصواب فيها بجانبها فى الهامش . .

اختلاف الروايات :

عنيت بإثبات الروايات المختلفة للنص مشيراً إلى مصادرها ، ذاكراً الفروق التى بينها ، موجهاً ما كان صواباً منها — أو غلب على ظنى أنه الصواب — وقد أشير إلى أجود هذه الروايات وأعلاها .

الشرح :

شرحت من النص ما احتاج بيان غرض الشاعر منه ، أو تفسير رواياته إلى شرح — وهو يمثل معظم النص — وقد حرصت فى هذا الشرح على أن أورد

ما وجدته فى مختلف الكتب العربية من تعليقات على شعر الشماخ أو شروح له ، وأعتقد أننى قد أثبتُ أكثر ما يتعلق بشعر الشماخ من هذه الكتب — التى رجعت إليها — وأحلت القارئ على الباقى منها .

وقد استغرق هذا الشرح منى جهداً كبيراً ووقتاً طويلا ، وبالأخص شرح الأبيات التى لم أعثر عليها فى مصادرى ، ولم أجد من تعرض لشرحها من القدامى .

وهناك أبيات فى الديوان لم يستقم لى وجه معناها فى سياق قصيدتها ، فاستظهرت أنها ليست فى موضعها المناسب من ترتيب القصيدة ، وأشرت إلى الموضع الذى ينبغى أن تكون فيه ، فإذا لم أهتد إلى موضع مناسب للبيت أو الأبيات فى القصيدة رجحت أن قبله أو قبلها — بيتاً أو أبياتاً ساقطة ، وربما أوردت عقب القصيدة ما أراه من تعديل فى ترتيب أبياتها ، أو بعضها ، حسب مناسبته المعنى .

تخريج النص :

كان منهجى فى تخريج القصائد والأبيات أن أورد عقب كل قصيدة أو مقطوعة تخريجها ، فتخريج أبياتها ، ليكون تخريج النص قريباً من متناول الباحث الذى يريد البحث عن النص فى مصادره المختلفة ، وقد شغل تخريج القصيدة الواحدة — أحياناً — عدة صفحات ، ومن ثم لم أثبته فى الهامش عند التعليق على كل بيت حتى لا يطول الهامش ، فيشتت انتباه القارئ بانقطاع تسلسل الشعر .

ولم أدخر جهداً ولا وقتاً فى سبيل جمع شعر الشماخ المبعثر فى بطون الكتب العربية ، فراجعت وفرة منها مختلفة الفنون ، ما بين مطبوع ومخطوط ، وكان هدفى — إلى جانب توثيق النص — أن أضع تحت يد الباحث من مصادر النص ما يفى بحاجته ، ويوفر عليه الجهد والوقت .

وعنيت فى هذا التخريج ببيان ما ورد فى هذه المصادر منسوباً للشماخ ، وما عزى إلى غيره من الشعراء ، وما روى فيها ، بدون نسبة . (لتفسير الأرقام فى جداول التخريج انظر : تخريج القصيدة الأولى من الديوان عقب النص) .

وانتهجت هذا المنهج أيضاً فى تحقيق وتخريج أراجيز الديوان ، بيد أنه لما كانت هذه الأراجيز ، قد سيقت فى الديوان ضمن حكاية يكتنفها الغموض ، كما أن أكثر أبطالها مجهولون — مما جعل أكثر هذه الأراجيز مضطرب النسبة والترتيب

والرواية فى بعض المصادر، وبدون عزو فى أكثرها — فقد حرصت على إيراد تعليق عقب كل أرجوزة يتضمن ما نراه —على ضوء روايتها فى المصادر — فى نسبتها وفى ترتيبها ، وغير ذلك مما يفصله التخريج الذى يعقب هذا التعليق .

الزيادات :

وقد فصلنا الكلام على أنواعها، ومنهجنا فى إثباتها وتحقيقها وتخريجها فى صدر ملحق الديوان .

هذا ديوان الشماخ بن ضرار رحمه
رضي الله تعالى عنه

وحرف قد بقين عليه ماها ... تمارة اينفا مواتر ونه
تخال الحلل لهن اذا استقلت ... بارحلنا سبايب تاليات
لهن بكل منزلة ورد ايبا ... تركن بها سواهم لاغبات
ترى كيرا اذا ما حسروا اذا ما ... اراهو اخلهن مرديات
قرى الطير العتاق تنوش منها ... عيونا في ظهرته وغايرات
كان اينقهن بكل سهب ... اذا ارتحلن تباوين ناعجات
كان فتود رحلي هوى جاب ... ضليع الجسم مرعبد الهلات
أشذبها شها ولا يبور ... لواقي كالفسيل وما يلات
فظل بها على شرف وظلت ... صياما حوله متواليات
صوادي ينتظرن الورد منه ... على ما ليس تلحقه متابعات
فوجهها فوارد فاتلأبت ... له مثل الفنا المتأود انت
تعض على وظاب الصخر منها ... كما عض الثقاف على القناة

(١) الصفحة الأولى من نسخة الشنقيطي المخطوطة للديوان .

(٢) الصفحة الثانية من هذه النسخة وهى تضم الأبيات التى نقلت خطأ من ديوان لبيد بن ربيعة (انظر : وصف هذه النسخة فى مقدمة الديوان) .

ليس بما ليس به من بأس ولا يضر البر ما قال النا س
وانه قبل الطلوع إينا س وقال الشماخ ايضا
كانها وقد بدا اغوارض وباغ من إيرها بها بض
وخفيف حيث يخوض الخابض والليل بين قنوين رابض
لجهلة الزاد فطافوا هض قال فلم يزل القوم حتى غضبوا
وتواثبوا بالسيوف ومعهم رجل من محارب فاقتحم ويقال رجل
من بني اسد فضاع وقال اي قوم ثهشت فنزلوا اليه وتشاغلوا
به حتى اصبحوا وجعلوا يسفونه السمن واللبن فاصبحوا وقد فوتهم
امرهم فقام معهم ولا باس به وانما جرى بينهم بذلك
وقال الجعيل في ذلك
ما قطعت من أرض ولا ذا ن وطعن ما بين الحما والجولا ن
على الجهالات به والعرفا ن بظلمات وسراج ضحيا ن
تنفض أيديها نفيض العفيا ن مجيبات ارجل عالا شكا ن
ماذا ابالي فيرسحب بنيا ن لما بدا مثل الصريخ العريا ن
وضمز القوم صموز الشجعا ن واستقبلوا الليلة خمس عتا ن
يميد سارباها كميد السكرا ن ما ليلة القفر الا شيكا ن
ساهرة تودي بروح الانسا ن يدعابها القوم دعاء الاصا ن
ارض بها تشكل في الجيزا ن فدبر الليل وبعد الغيكا ن
بين المزجا والنجيب المعوا ن مثل المثافيل بشق الميزا ن

كانها

(٣) الصفحة قبل الأخيرة من نسخة الشنقيطي المخطوطة للديوان .

كانها وقد تدلى النشران وضمها من خلفها هزران
صغار شمائل وايمان يبلى الجديد وهما جديدان
ما بادمن شيء وفيك يبيدان فوارس شعثها على الجيران
يقدمها كل علاك مدعان صهباء من معرضات الغربان
لا تترع عوالي الرماح وابيضان تجواء اما اضكرب الشيخان
يا رجليم كرديلي الركبان

تم ديوان الشماخ رضي الله عنه

(٤) الصفحة الأخيرة من نسخة الشنقيطي المخطوطة للديوان .

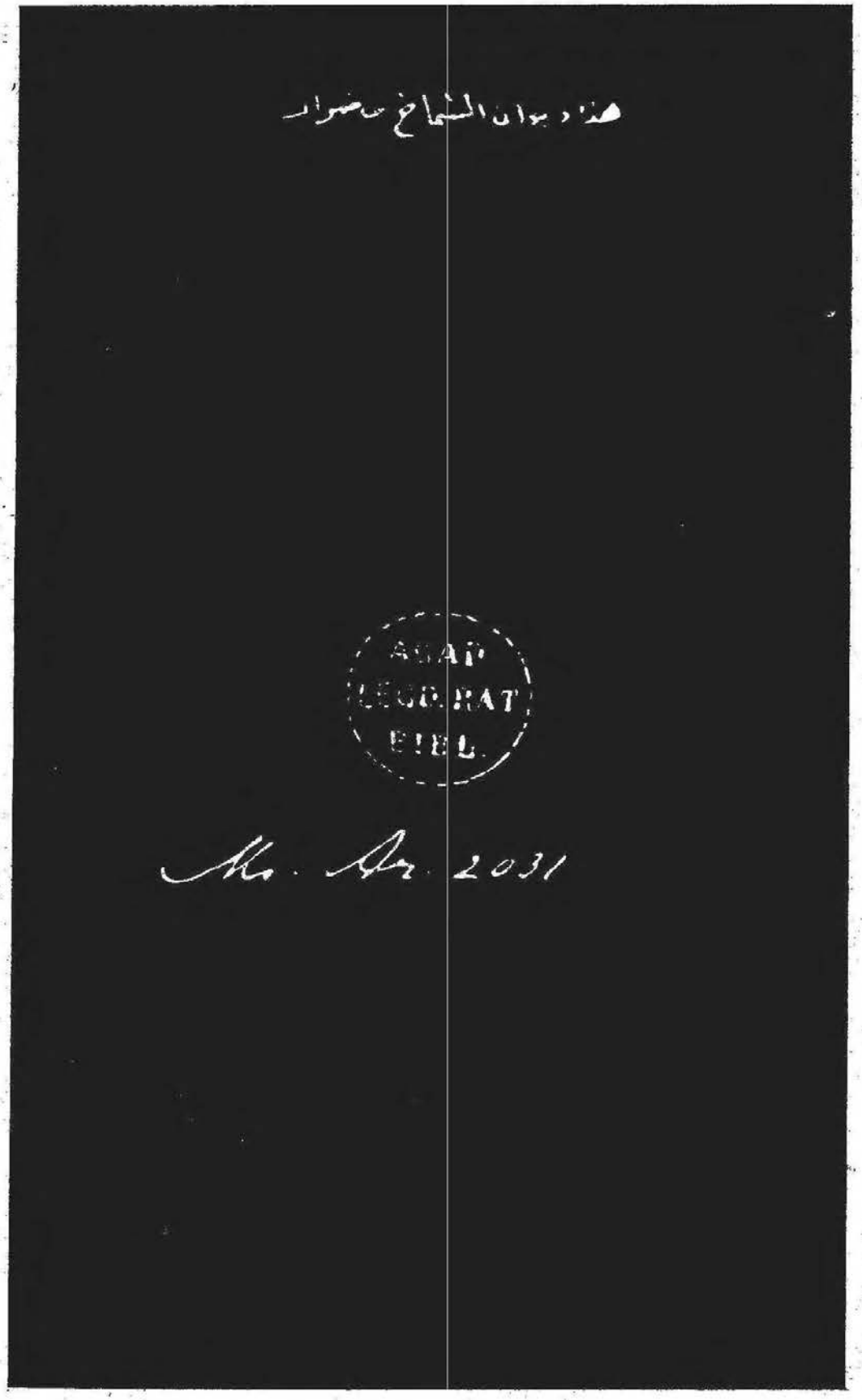

(٥) صورة الغلاف من نسخة ليدن.

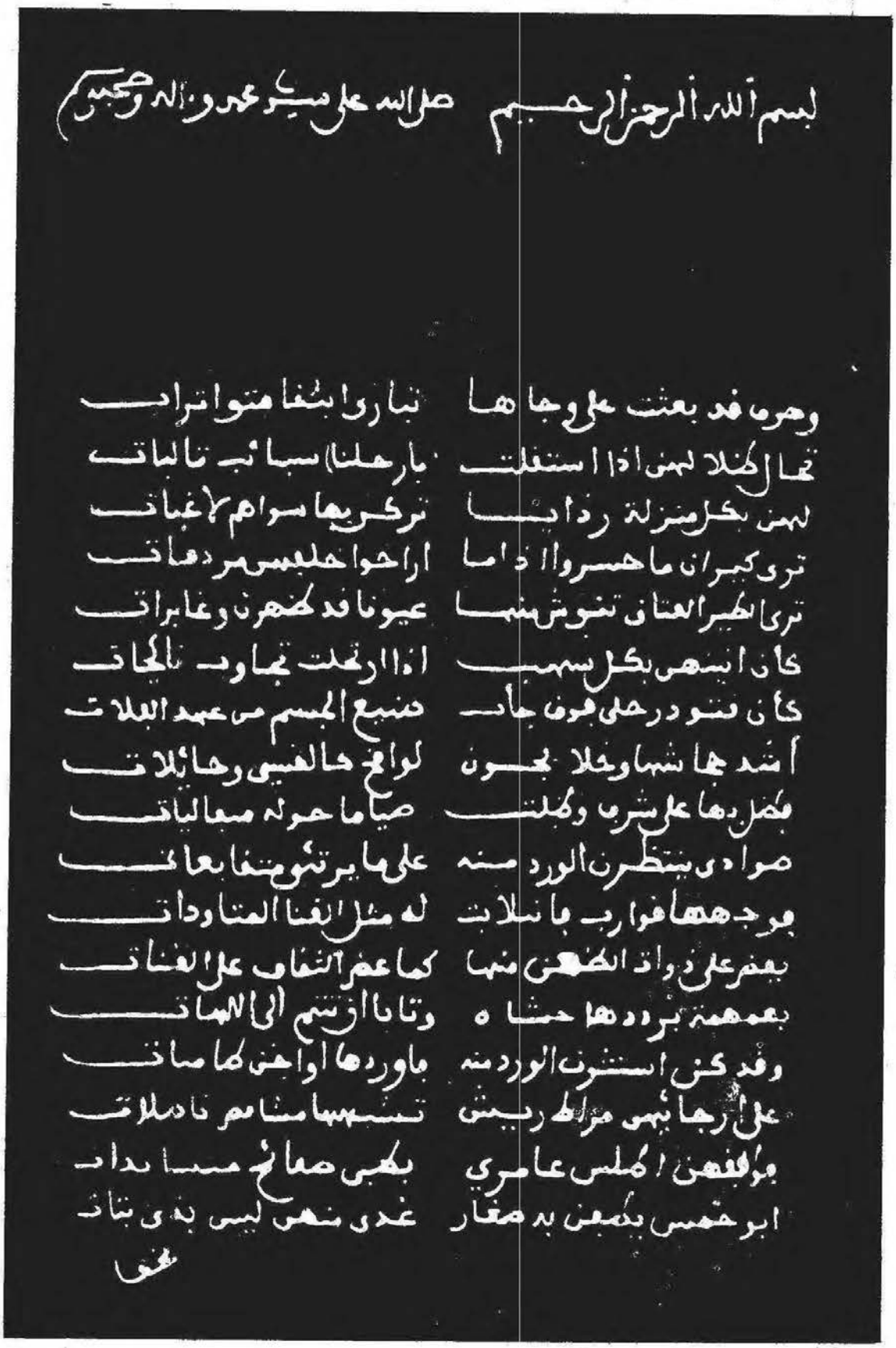
بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وهن قد بعثت على وجاهها تبارى بثغا متواترات
تحال الخلا لهن اذا استقلت بارحلنا سبائب تالبات
لهن بكل منزلة ردايا تركن بها سوام اغبات
ترى كبرانها ما حسروا اذا ما اراحوا حلبسن مردهات
ترى الطير العتاق تنوش منها عيونا قد لحهن وغابرات
كان انسهن بكل سهب اذا ارتحلت تجاوبه تالجات
كان فتور رحلي فوق جاف صنيع الجسم من عهد البلات
اشد بها شهاوخلا بجون لواقح حالفيي وحائلات
بحمل دها على شرب وكلت صياما حوله صعالياتي
صوادي ينتظرن الورد منه على ما يرتئون متابعات
بوجهها فوارب ما نلات له مثل الغنا المتاودات
يغفر على ذواد الضمن منها كما عض الثعالب على الغناتي
بعمهمة بردها حشاه وتابا ان تنم الى اللهاتي
وقد كن استرن الورد منه ماوردها اواخن كما ساتي
على ارجائهن مراط ريش تشبهها مشامر ناهلات
يواقفهن اكلس عامري بكبي صفائح مسنادات
ابو خمس يكفن به صغار غدى منهن ليس به ى بتاتي

(٦) صورة الصفحة الأولى من نسخة ليدن .

(٧) صورة الصفحة الثامنة من نسخة ليدن .

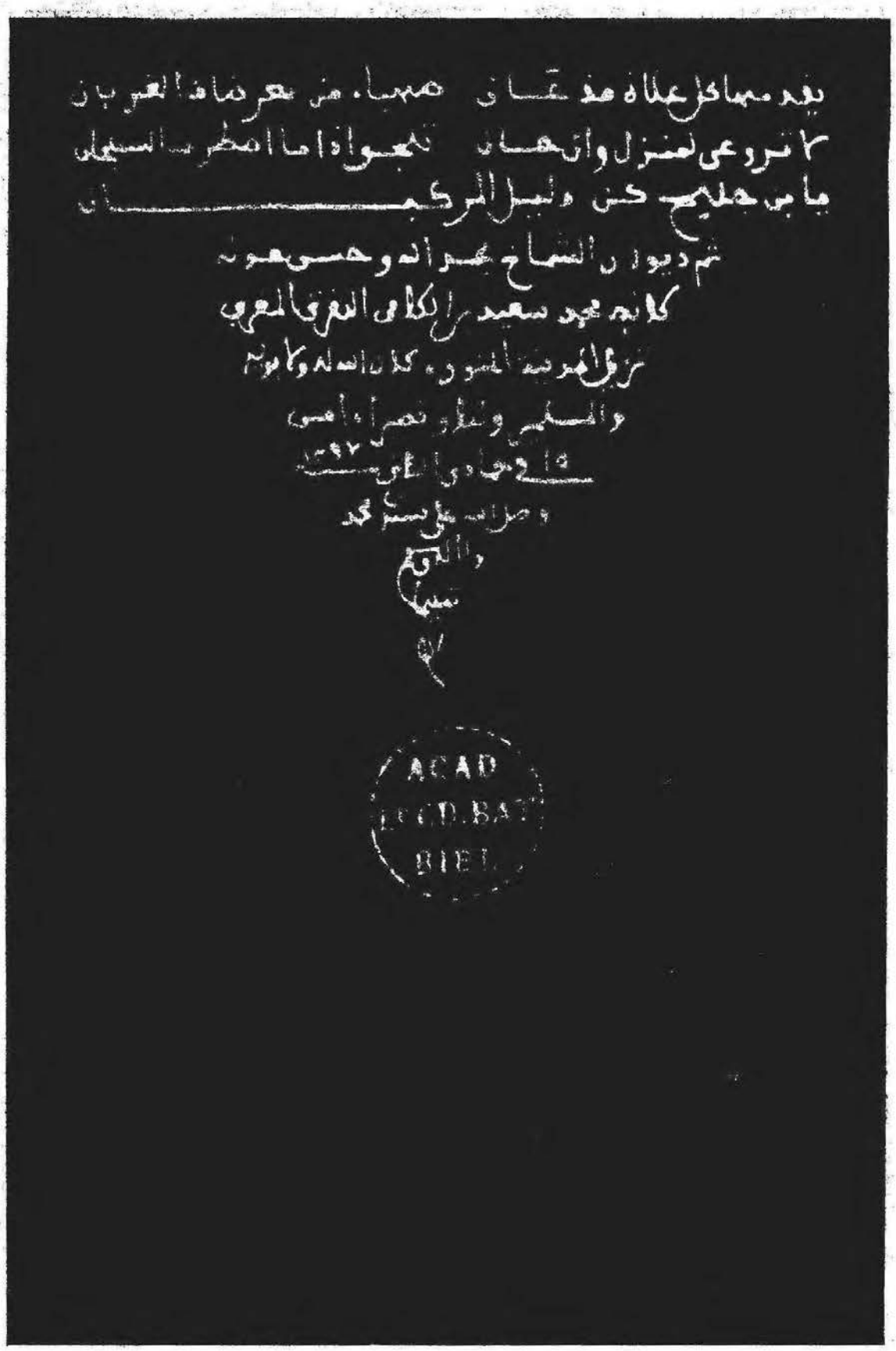

(٨) صورة الصفحة الأخيرة من نسخة ليدن .